



مصر

فى كتابات الرحالة الفرنسيين

فى القرنين السادس عشر والسابع عشر

د. إلهام محمد على ذهنى

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر



إشراف: أ.د. يونان لبيب رزق

سكرتير التحرير: خلف عبد العظيم الميري

الاخراج الفنى : اسامة سعيد

مصـــر

فى كتابات الرحالة الفرنسيين

فى القرنين السادس عشر والسابع عشر

تأليف

د. إلهام محمد على ذهنى

كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩١

تقـــديم

هذه الدراسة التى وضعتها الدكتورة الهام محمد على ذهنى مدرس التاريخ الحديث بجامعـــة الأزهر عن « مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر » ، وتمثل هـــذه الكتابة نوعا من الدراســـات لم تعتد اصدارات « مصر النهضة » أن تتضمنه .

فهى من ناحية تعالج مرحلة زمنية كانت « مصر النهضة » عازفة عن الضرب فى أغوارها .

وهى من ناحية أخرى تعالج موضوعا تقريريا ، بينما حرصنا فى « مصر النهضـــة » على تقـــديم الموضـــــوعات ذات الطـــابع الأطروحى .

غير أن ما أغرانا على نشر هـــذه الدراســـة مجموعـــة من الاعتبـــارات :

أول هذه الاعتبارات أن مصر فى حاجة الى رؤية نفسها فى مرآة الآخرين ، ولعل الدراســـات التى سبق لنا تقديمها كانت

ذات رؤية أحادية فى الغالب ، وهى رؤيتنا لأنفسنا ، بحكم أن جل من كتبوها كانوا من الباحثين المصريين ، وما قدمته الدكتورة الهام ذهنى انما كان شكل من أشكال الرؤية فى المرآة الأوربية .

اعتبار آخر : أن هذا العمل قد تطلب الغوص فى الكتابات القديمة للرحالة الفرنسيين ، وهو غوص قد استلزم معرفة جيدة بلغة هؤلاء وبطبيعة العصر الذى وضعوا فيه كتاباتهم ، مما يتطلب مثابرة خاصـة ، وهو ما نجحت المؤلفة فى صنعه وتقديمه لقارىء مصر النهضة .

بالاضافة الى ذلك فان كتابات الرحالة الأوربيين بما فيهم الفرنسيون كانت تتميز دائمـا بالرؤية الثاقبـة لأحوال المجتمع المصرى بكل أبعاده ، وذلك بحكم ما كان يمثلكه هـذا المجتمع من عالم غريب عليهم ، يلفت نظرهم فيه أشـياء كثيرة قد تبدو لابن هذا المجتمع أشياء طبيعية .

وبالتالى فقد دققوا فى وصف هـذه الأشـياء ومتابعـة تفاصيلها ، ومن ثم تكتسب هذه الدراسـة أهميتها فى مجـال الرؤية الاجتماعية لمصر فى تلك القرون البعيدة .

يبقى أخيرا أن نتصور ونحن محقون فى هـذا أن مجموعة العلمـاء الذين صاحبوا الحمـلة الفرنسية وعكفوا على وضـع السفر العظيم تحت اسم « وصف مصر » لم يضعوا هـذا العمل من فراغ وانما سبقهم اخوان لهم هم الذين أشارت اليهم صاحبة هذا المؤلف . .

وعلى ضوء كل هـذه الاعتبارات تقدم هـذا العمل لقراء « مصر النهضة » لعله يكون مصدر فائدة ومتعة لهم .

وعلى الله قصد السبيل ؟

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

المقدمــة

تتناول هذه الدراسة كتابات الرحالة الفرنسيين عن مصر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وقد حرصت فيها على القاء الضوء على الوضــع السياسى فى مصر ، والعلاقة بين الدولة العثمانية وفرنسا خلال هذه الفترة لأن بعضا من هؤلاء الرحالة تم ايفادهم فى بعثات رسمية أو سفارات الى الدولة العثمانيــة ، كذلك حرصت على التعريف بشخصيات هؤلاء الرحالة فمنهم الطبيب والعالم ورجل الدين والجغرافى .

وقد التزمت فى هذه الدراســة بما ذكره الرحالة بالفعل من وصف ومشاهدات وأوردت المبالغات التى كتبوها .

وقد فضلت تخصيص هذه الدراسة لرحالة القرنين ١٦ ، ١٧ وذلك لتشابه كتابات هؤلاء الرحالة خــلال هذه الفترة ، ولأن معظمهم اقتصرت زياراته على مدن مصر السفلى والمزارات المسيحية فقط ، أما رحالة القرن الثامن عشر فقد جابوا مدن

مصر خاصة الوجه القبلى وسجلوا مشاهداتهم بصورة أعمق وأكثر دقة ولذلك آثرت تخصيص دراسة خاصة بهم باذن الله .

ويمكننا القول ان علماء الحملة الفرنسية افادوا من كتابات هؤلاء الرحالة جميعا الذين توافدوا على مصر منذ مطلع القرن السادس عشر وحتى مجىء الحملة فى نهاية القرن الثامن عشر فكانت كتابات هؤلاء الرحالة هى المنارة التى ارشدت علماء الحملة فتعرفوا على مصر من خلال هذه الكتابات ثم تعمقت هذه المعرفة بصورة علمية دقيقة بعد وصولهم الى مصر مع الحملة الفرنسية فوصفوها وصفا علميا دقيقا شاملا .

واخيرا لا يسعنى الا ان اقدم خالص الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور يونان لبيب على ما بذله من اهتمام لهذا البحث ، كما اتوجه بالشكر الى سكرتير التحرير الأستاذ خلف عبد العظيم لحرصه الشديد على سرعة اتمام هذا العمل .

والله ولى التوفيق ؟

د. الهـام ذهنى

الفصـــل الأول

علاقة فرنسا بمصر والدولة العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر

أولا ــ أحوال مصر السياسية فى القرن السادس عشر

علاقة قانصوه الغورى بفرنسا والقوى الأوربية

شهدت مصر فى العقد الثانى من القرن السادس عشر تحولا خطيرا فى تاريخها السياسى ، اذ قوض العثمانيون الأتراك حكم دولة المماليك وتحولت مصر الى ولاية عثمانية بعد ان كانت دولة عظيمة تمتد حدودها من مصر الى الشام والحجاز . كذلك شهدت الدولة العثمانية خلال هذا القرن الصلات فرنسية مكثفة كان من نتائجها تحالف الدولتين ، ومساندة الدولة العثمانية المسلمة للملوك الفالوا Valois الفرنسيين .

وقبل أن نتحدث عن تطور العلاقة بين فرنسا والدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر وانعكاس ذلك على مصر ، ينبغى لنا أن نلقى نظرة سريعة على العلاقة بين الأشرف قانصوه الغورى آخر سلاطين المماليك وفرنسا قبيل انهيار دولته .

تولى الغورى (١) حكم مصر فى عام ١٥٠١ بعد فترة من

---

(١) تولى الغورى عدة مناصب هامة فى عهد الاشرف قايتباى فعمل كاشفا فى مصر العليا ثم نصب أميرا للجنود ١٤٨٤ ، وعمل فى حلب وحكم طرطوس وسيلسيا وعمل فى خدمة الناصر بن قايتباى ١٤٨٨ وقاد الحروب مع العادل طومان باى الاول فى دمشق .

الاضطربات والتنافس على الحكم هذا وقد أفاض الرحالة الفرنسى جان تينو Jean Thenaud الذى زار مصر فى عهد الغورى فى وصف الاضطرابات التى عانت منها مصر قبيل تولى الغورى من انعدام الأمن والتنافس بين الأمراء على الحكم الى ان استقر راى المشايخ على تعيين الغورى سلطانا على مصر فنصبه مهام منصبه الخليفة المستمسك بالله والقضاء الأربع (٢) .

وقد اثبت الغورى أنه جدير بمنصبه رغم كبر سنه ، وتجاوزه الستين عاما ، فقد عمل على اعادة الأمن والاستقرار الى البلاد ، واهتم بتحصين المدن الهامة مثل الاسكندرية ورشيد، واهتم بتقوية قلعة صلاح الدين . ورغم جهوده فان مصر لم تنعم بالاستقرار طويلا بسبب تفاقم الخطر البرتغالى واحتكار البرتغال التجارة الشرقية . ومهاجمتها للسفن الاسلامية فى مياه المحيط الهندى والبحر الأحمر (٣) .

وقد شهدت مصر فى عهد قانصوه الغورى العديد من السفارات والبعثات الاسلامية قصد اعضاؤها بلاط الغورى لعدة أسباب فندها الرحالة الفرنسى « جان تينو » على النحو التالى :

١ ـ النشاط البرتغالى فى مياه المحيط الهندى واحتكار البرتغال التجارة الشرقية ومنعها القوى الاسلامية من التجارة .

---

(٢) Thenaud, Jean : Le voyage D'outremer (Egypte Mont Sinay Palestine) Paris 1884 pxl 1.

(٣) د. سعيد عاشور : الايوبيون والماليك فى مصر والشام القاهرة ١٩٦٩ ص ٣٣٣ .

٢ ـ معاناة مسلمى اسبانيا من المسيحيين واجبارهم على اعتناق المسيحية .

٣ ـ الحملات الأسبانية المتواصلة ضد مسلمى شمال افريقيا فكثرت سفارات البربر من تونس والمغرب الى القاهرة للاستنجاد بالغورى ضد اسبانيا ، وطالبوه باستبعاد التجار المسيحيين من الشرق (٤) .

وجدير بالذكر ان بلاط الغورى لم يشهد فقط بعثات اسلامية من المغرب أو الهند وانما شهد أيضا بعثات وسفارات اوروبية بل اسبانية . ففى عام ١٥٠١ أرسل ملكا اسبانيا فردينادو ايزابيلا بعثة الى مصر برئاسة بيير مارتير دانجير Pierre Martyr D'Anghiera وصلت الى الاسكندرية حيث نزلت فى ضيافة القنصل الفرنسى فيليب بيريه Philippe Peretz ثم سافر دانجيرا الى القاهرة فوصلها فى ١٦ يناير ١٥٠٢ هذا ويصف الرحالة الفرنسى « جان تينو » اللقاء بين الغورى ودانجيرا بأنه « كان لقاء عاصفا » توعد فيه الغورى حكام اسبانيا من جراء اضطهادهم للمسلمين ، وفشلت بعثة دانجيرا فى عقد اية اتفاقيات تجارية مع الغورى وعلل تينو فشل البعثة بسبب « دسائس المغاربة واليهود » وغادر دانجيرا القاهرة فى فبراير ١٥٠٢ (٥) .

ولم يكتف الغورى باستقبال البعثات الأوروبية ، بل أرسل بدوره السفارات الى اوروبا ولعل أهم هذه السفارات التى

---

(٤) Thenaud : op. cit. P XLIV

(٥) Ibid : P. XLIV

أرسلها الى البابا جوليوس الثانى Julius II (٦) . ردا على مهاجمة السفن البرتغالية ــ لكالكت مما ترتب عليه كساد التجارة فى مصر والبندقية ــ فضلا عن مهاجمة داجاما ١٥٠٣ لسفينة هندية تحمل حجاجا هنودا جاءوا من ساحل الملبار لتأدية فريضة الحج ، ولذلك قرر الغورى تقديم شكوى الى البابا ضد ملكى أسبانيا والبرتغال (٧) . ولما كان البابا جوليوس الثانى سياسيا ماهرا فقد استقبل بعثة الغورى وان لم يستجب لمطالبها (٨) .

ارسل الغورى فرا مورو دى سان Fra Mauro Di San الى البابا فى عام ١٥٠٤ ــ وكانت شكواه تتلخص فى الفظائع التى يرتكبها الأسبان فى حق المسلمين والمغاربة ــ وابلغ مبعوث الغورى البابا بتهديدات السلطان بالقضاء على المسيحيين فى دولته ، غير أن البابا رفض التدخل رسميا بين الغورى واسبانيا، ولكن لخوفه فى الوقت نفسه من تهديدات الغورى أمر « فرا مورو » باطلاع ملكى أسبانيا والبرتغال على تهديدات الغورى ويذكر « تينو » بأنه لم يطلع على رد ملك أسبانيا ، أما ملك البرتغال « ايمانويل » فقد أجاب البابا بقوله « اننى اتشوق لرؤية اليوم الذى تدمر فيه الكعبة وقبر محمد فى

---

(٦) لعب البابا جوليوس الثانى (١٥٠٣ ــ ١٥١٣) دورا هاما فى الحروب الايطالية فحاول لويس الثانى عشر عزله بسبب مؤامراته ضد فرنسا ولكن دعوته قوبلت بالاستنكار فى أوروبا فقد أراد البابا أن يعيد للبابوية هيبتها بعد فترة حكم اسكندر السادس الذى اشتهر بمغامراته النسائية ولذلك زج بنفسه فى المشكلات السياسية .

(٧) Thenaud : op. cit. P. LIV

(٨) عبد العزيز نوار ، عبد الحميد البطريق : التاريخ الاوروبى من عصر النهضة الى أواخر القرن الثامن عشر القاهرة ١٩٨٢ ص ٧١ .

المدينة » وطالب ايمانويل البابا بتكوين حلف من الأمراء المسيحيين لمحاربة المسلمين . وقد أطلع فرا مورو كلا من البابا والفوري على رد ملك البرتغال . لذلك قرر الفوري اتخاذ عدة اجراءات ضد المسيحيين فى بلاد الشام فما كان منه الا أن القى القبض على عدد كبير منهم وباعهم فى أسواق الرقيق . وقد علل تينو هذه الخطوة من جانب الغوري بأنها « كانت لارهاب ملكى اسبانيا والبرتغال » (٩) .

وجدير بالذكر أن الفوري حاول التحالف مع البندقية ضد الخطر البرتغالي ، وكان من الطبيعى أن تتفق مصالح البنادقة مع الفوري لأن احتكار البرتغال للتجارة هدد مصالح البندقية فحاولت تحريض القوى الأوروبية ضد البرتغال ، ولكن الدول الأوروبية لم تقبل أن تتخلى عن التعامل مع البرتغال ، خاصة وانها قامت بتزويد الأسواق الأوروبية بالسلع الشرقية والبهار بأسعار تنافس اسعار البندقية مما أدى الى تدفق التجار الأوروبيين خاصة الألمان على لشبونة للحصول على التوابل (١٠) .

ولمواجهة الخطر البرتغالى قرر الغورى بناء عدد من السفن لحماية البحر الأحمر والحجاز من اعتداءات السفن البرتغالية فأرسل بعثة الى البندقية عام ١٥٠٧ ، اتفقت على شراء الأخشاب اللازمة لصناعة السفن ، فضلا عن حصولها على موافقة البنادقة على امداد الفورى بالمدافع (١١) .

---

(٩) Thenaud . op. cit. P. XLVI LI

(١٠) د. سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٣٢٣ .

(١١) Clement, R : Le Français D'Egypte aux XVII et XVIII siécles Le Caire 1960 PP. 1 — 2.

اما فرنسا فقد بدأت اتصالاتهـا بالغورى فى عهـد لويس الثانى عشر (١٢) الذى أراد الحصـول على امتيازات تجاريـة من الغورى واتفق القنصـل الفرنسى فى مصر فيليب بيريه مع الغورى على عقد معاهدة تجارية عام ١٥٠٧ تضمن حرية التجارة للفرنسيين فى مصر ، وحق رسو سفنهم ، كما تضـمن لهم حرية التجول فى البلاد ، والبيع والشراء فى المناطق التى يرغبون فى الذهاب اليها ، وعدم جواز معاقبة واحد منهم بذنب ارتكبـه غيره أو الانتقام منهم فيما يفعله القراصنة وأن يتولى القنصـل شئون القضاء بين الفرنسيين وأن يكون له حق التجارة وأن يكون للفرنسـيين الحـق فى ارتيـاد كنائسـهم المعروفـة فى الاسكندرية (١٣) . غير ان اتفاق عام ١٥٠٧ م لم يكتب له التنفيذ وذلك لأن العلاقة تأزمت بين الطرفين فبينما كانت هناك خمس سفن فرنسية تقل بعض المغاربة وعلائلاتهم من الاسكندرية الى المغرب ، واثناء ابحـار السفن الفرنسية اعترض طريقها فرسان رودس ، ولذلك أمر الغورى بالقاء القبض على القنصل الفرنسى فيليب بيريه ، كما أمر ببيع بعض الفرنسيين فى الاسكندرية فى أسواق الرقيق ، وقد حاول بيريه تهدئه الغورى وتبرئة الفرنسيين من التواطؤ مع فرسان رودس غير ان الغورى لم يقتنع (١٤) .

هذا وقد ازداد التوتر بين الغورى والأوروبيين بعد كارثة اغراق السفن المصريـة التى تعاقد الغورى على شرائهـا من البندقية وكان عددها ٢٨ سفينة ، اذ هاجمها فرسان رودس

---

(١٢) لويس الثانى عشر (١٤٩٨ — ١٥١٥) من أسرة الفالوا التى حكمت من ١٣٢٨ حتى ١٥٨٩ .

(١٣) Clement : Op. Cit., P. 2.

(١٤) Thenaud : Op. Cit., PL XIII.

عام ١٥١٠ م ، واغرقوا عددا كبيرا منها واحرقوا ما تبقى ، فالقى الفورى القبض على جميع التجار الأجانب فى مصر وسوريا وصودرت بضاعتهم . وفشلت محاولات الملك لويس الثانى عشر للتدخل واصلاح الموقف المتردى ولكنه فشل . فأرسل الى السلطان بايزيد بعثة برئاسة « مونت جوى » Montjoye مطالبا منه بالوساطة بينه وبين الفورى ، ولم يكتف الملك لويس الثانى عشر بطلب وساطة الدولة العثمانية فحسب بل سعى لاصلاح الموقف مرة ثانية مع الفورى فارسل بعثة فى عام ١٥١٢ م ، الى القاهرة برئاسة « جيلبر شوفو » Guilbert Chauveau (١٥) .

ولتسوية الموقف مع الفورى أرسل لويس الثانى عشر بعثته الشهيرة اليه برئاسة اندريه لى روى André Le Roy ولا توجد وثائق لهذه البعثة سوى ما ذكره الرحالة « تينو » المصاحب لها فقد سافر بصحبة لى روى من فرنسا الى القدس الى ايطاليا ومنها الى الاسكندرية ثم القاهرة ولما كان الغرض الرئيسى لبعثة لى روى هو تحسين صورة الفرنسيين أمام الفورى ، وتسوية العلاقات بين الدولتين ، فقد اكد لى روى للفورى بأن فرنسا لا علاقة لها بما اقترفه فرسان رودس من جرم واغراقهم السفن المصريه ، كما طالب بالافراج عن القنصل الفرنسى فيليب بيريه والتجار الفرنسيين وقد أحسن الفورى استقبال هذه البعثة وابدى استعداده لمد يد الصداقة الى فرنسا مرة اخرى (١٦) .

وبمكننا القول أن الهدف الرئيسى من اتصالات لويس

---

(١٥) Ibid : PL. XIII.

(١٦) Ibid :

الثانى عشر بالغورى هو تنشيط التجـارة الفرنسية وذلك لأن فرنســا عانت منذ أواخر القرن الرابـع عشر من الاضطرابات المـالية ولذلك لم يكن الحل أمام الحـكومة الفرنسية سـوى التوسع التجارى فى الشرق وان كانت سياسة الانفتاح التجارى على الشرق قـد ظهرت بصـورة اوضـح منذ القرن السـابع عشر (١٧) .

مصر ولاية عثمانية

اتسمت العلاقة بين الدولة العثمانية والمماليك بالود تارة وبالتوتر تارة أخرى ، فعندما سـقطت القسطنطينية احتفـل السلطان اينال فى القاهرة رسميا بهذا النصر ، على حين ان القلق قد سيطر على العثمانيين عندما استولى المماليك فى عهد السلطان بارسباى عام ١٤٢٤ على جزيرة قبرص ، وفى عهد بايزيد الثانى حدث نزاع على الحدود بين الدولتين فى أعـالى الشام ، كذلك لجأ الأمير جم منافس بايزيد فى الحكم الى مصر فى عهد قايتباى فنشبت الحرب بين الطرفين عام ١٤٨٥ م ، وأغـار العثمانيون على طرطوس الا أن قايتبـاى هـزمهم وعقـد معهـم صـلح عام ١٤٩١ م (١٨) .

وفى عهد السلطان الغورى اتجه العثمانيون بفتوحاتهم نحو الشرق ، بعد أن كانت هـذه الفتوحات تتركز فى البلقان ، وكان

---

(١٧) The New Cambridge : Modern History 1493 — 1520 Cammbridge 1961 Vol. 1 P. 313.

(١٨) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ - ١٩١٤ القاهرة ١٩٨١ ص ١٠٨ .

الشرق محل اهتمام سليم أيام كان واليا فى طرابزون فقد شغله الخطر الصفوى وامتداد المذهب الشيعي الى الأناضول الى حد تاثر بعض الأمراء العثمانيين بهذا المذهب (١٩) ولذلك ركز سليم حروبه على محاربة القزلباش فى الأناضول (٢٠) كذلك اتجه الى فارس وهزم الصفويين فى موقعة جالديران ٢٢ أغسطس عام ١٥١٤ م واستولى على تبريز (٢١) .

اتسمت العلاقة بين سليم والغورى بالود أحيانا والوعيد احيانا اخرى وكانت هناك مراسلات سرية بين السلطان سليم وخاير بك نائب الغورى فى الشام اتسمت بالصداقة . وقد حذر سيباى نائب دمشق الغورى وأطلعه على مراسلات خاير بك مع السلطان سليم ولكن الغورى لم يتخذ أى اجراء ضد خاير بك (٢٢) .

ثم توترت العلاقة بين الغورى وسليم بسبب التنافس على امارة ذى القدر فى أعالى الشام وقيام سليم الأول بالاستيلاء عليها ١٥١٥ م ، فأجار الغورى الفارين من سليم فرد عليه السلطان العثمانى باغلاق سوق الرقيق وكان مصدر قوة المماليك (٢٣) .

---

(١٩) الأمير ان شهنشاه ومراد ابنا الامير احمد شقيق السلطان سليم .

(٢٠) إصدر المفتى حمزة أفندى فتوى بوجوب قتل الشيعة لانهم خارجون على الدين .

(٢١) محمد فريد : **تاريخ الدولة العلية العثمانية** . القاهرة ١٩١٢ م ص ٧٥ .

(٢٢) أحمد فؤاد متولى : **الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له** . القاهرة ١٩٧٦ م ص ١٠١ .

(٢٣) محمد انيس : المرجع السابق ص ١١٠ .

وفى عام ١٥١٦ م توجهت القوات العثمانية نحو بلاد الشام فطلب الغورى من الخليفة العباسي أبى عبد الله المتوكل على الله الثالث وقضاة المذهب السني الاربعة الاستعداد لمصاحبته فى سفره الى حلب ، وبينما كان الغورى يقوم بالاستعداد لمواجهة القوات العثمانيه ارسل خاير بك نائب حلب رسالة الى الغورى يؤكد له فيها ان سليم ينوى محاربه الفرس (٢٤) ولكن الغورى تحرك من مصر الى الشام فى ١٥ ربيع الآخر ٩٢٢ هـ (١٨ مايو ١٥١٦) بعد أن أناب عنه طومان باى ووصل السلطان الغورى الى حلب ودارت المراسلات بينه وبين سليم الذى حاول خداعه واظهار حسن نواياه ولكن الغورى أدرك هدف سليم والتقت القوتان العثمانية والمملوكية فى مرج دابق فى٢٤ اغسطس عام ١٥١٦ م ، وقدم ابن زنبل الرمال وصفا للمعركة أوضح فيه مدى قوة الجيش العثمانى « فلما اتضح النهار ركبوا كالبحر الزاخر فاذا صفوف العثمانية قد بانت صفا صفا بعد صف ، ارجا من الوصف والاعلام الملونة من اليسار واليمنة وهم سائرون كالبحر السيال والمحيط الميال وقد رتبوا الصف من كل طرف » (٢٥) .

وكان النصر حليف العثمانيين وقتل الغورى وبفضل خيانة نوابه جان بردى غزالى نائب حماه ، وخير بك نائب حلب سقطت المدن السورية (٢٦) فأسرع الأمراء فى مصر باختيار طومان باى سلطانا خلفا للغورى ، ثم زحف سليم من بلاد الشام

---

(٢٤) احمد متولى : المرجع السابق ص ١٢١ .

(٢٥) ابن زنبل الشيخ احمد الرمال : **آخرة المماليك** . تحقيق عبد المنعم عامر . القاهرة ١٩٦٢ م ص ٢٧ .

(٢٦) محمد اليس : المرجع السابق ص ١١٠ .

الى مصر فوصل الصالحية فى ١٦ يناير ١٥١٧ م ومنها الى بلبيس والخانكة ٢٠ يناير وفى ٢٢ يناير ١٥١٧ م التقى الجيشان المملوكى والعثمانى فى الريدانية . وسقط فى المعركة الصدر الأعظم سنان باشا ، وهرب طومان باى الى طره بينما دخل سليم القاهرة فى ٢٦ يناير ١٥١٧ م التى اشتدت فيها المقاومة فقتل العثمانيون عددا كبيرا من المماليك وسكان المدينة ، كما أمر سليم باحراق المنازل التى تحصن بها المماليك ، وهرب طومان باى الى البهنسا فى صعيد مصر ثم اتجه الى الاسكندرية ثم دارت بينه وبين العثمانيين عدة اشباكات أسفرت عن هزيمته وتفرقت قواته ، فهرب عند شيخ العرب حسن بن مرعى الذى سلمه الى السلطان سليم وتم اعدامه على باب زويلة وظلت جثته معلقة ثلاثة أيام ثم دفنت فى حوش المدرسة التى بناها السلطان الغورى ، وولى السلطان سليم يونس باشا على مصر (٢٧) .

ويذكر ابن اياس عن مصر « أنه منذ عهد عمرو بن العاص رضى الله عنه لم يفتحها أحد من الملوك بعد عنوة سوى سليم شاه بن عثمان » (٢٨) . واثنى ابن اياس على شجاعة طومان باى فى القتال حتى أن سليم « اعجب به واشيع بين الناس بانه سوف يرسله الى مكة ولن يقتله » ثم يضيف « لم يسمع بمثل هذه الواقعة فيما تقدم من الزمان وأن سلطان مصر شنق على باب زويلة قط ، ولا علقت رأس السلطان على باب زويلة ولم يعهد بمثل هذه الواقعة فى الزمن القديم » (٢٩) .

---

(٢٧) احمد متولى : المرجع السابق ص ٢١٧ ــ ص ٢٢٠ .

(٢٨) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، حققها محمد مصطفى من ٩٢٢ هـ الى ٩٢٨ هـ ــ ١٥١٦ ــ ١٥٢٢ م جـ ٥ القاهرة ١٩٦١ م ص ١٥٢ .

(٢٩) المرجع السابق ص ١٧٥ : ١٧٧ .

اما ابن زنبل فيذكر عن طومان باى انه « لم يظهر فى حياته شىء من الأفعال الرذيلة أبدا ، لا شرب خمر ولا زنا ولا فواحش أبدا ، كان قليل الشهامة لا يظهر شيئا مما يفعله أهل التجبر والعنف، وكان الغالب على حاله السكينة والوقار ، وكان غالبا على نفسه ، رزينا فى احواله ، لين الكلمة ذا انخفاض ، كثير الرحمة والشفقة على كل أحد ، حتى أنه لما ظهرت منه هذه الفراسة والشجاعة فى قتال السلطان سليم صار الناس يتعجبون منه غاية التعجب ولم يكن أحد يظن انه بهذه الصفة » (٣٠) .

وبعد مقتل طومان باى مكث سليم حوالى شهر فى القاهرة زار آثارها ومساجدها ووزع العطايا وحضر الاحتفالات خاصة احتفال فتح الخليج الناصرى ثم حضر احتفال المحمل الشريف وارسل الصرة الى الحجاز واثناء وجوده فى مصر سلم له شريف مكة مفاتيح الحرمين (٣١) .

هذا واذا كنا فى مقام الحديث عن ما ذكره المؤرخون عن شجاعة طومان باى فانه لا يفوتنا أن نعرض ما ذكره عنه الرحالة الفرنسى تيفيه Thevet الذى قدم وصفا دقيقا لطومان باى أثناء اقتياده الى المشنقة فذكر « انه كان هادئا رأسه مرفوعة ، صعد الى منصة الاعدام بخطى ثابتة ، وبموته فقدت مصر رجلا من خيرة رجالها » (٣٢)

---

(٣٠) ابن زنبل : المرجع السابق ص ١٤٥ .

(٣١) على حسونة : تاريخ الدولة العثمانية ـ دمشق ١٩٨٢ م ص ٥٨ .

(٣٢) Andre Thevet : Voyages en Egypte-Cosmographie du Roi Le Caire 1984 P. 35.

ثانيا ـ الاتصالات الفرنسية العثمانية في القرن السادس عشر

اتصالات أسرة الفالوا بسليمان القانوني وخلفائه

حكمت أسرة الفالوا فرنسا من عام ١٣٢٨ حتى ١٥٨٩ م (٣٣) ، وقد انشغلت هذه الأسرة لفترة طويلة من حكمها بالحروب الايطالية التى بدأت منذ عام ١٤٩٤ م وانتهت ١٥٥٩ م . أى أن هذه الحروب استغرقت خمسة وستين عاما ، وكانت مظهرا من مظاهر التنافس الدولى بين فرنسا واسبانيا من أجل السيطرة على أوروبا ، وكانت ايطاليا هى الميدان الرئيسى للصراع بين الدولتين (٣٤) .

ويمكن تقسيم فترة الحروب الايطالية الى مرحلتين متميزتين المرحلة الأولى بدأت من عام ١٤٩٤ الى عام ١٥١٥ م وتميزت هذه المرحلة بالحملات العسكرية الفرنسية على ايطاليا خاصة فى عهد كل من شارل الثامن ولويس الثانى عشر ، اما المرحلة الثانية فبدأت من عام ١٥١٥ م وانتهت عام ١٥٥٩ م بتوقيع صلح كاتو كمبرسيس الذى أنهى الحروب الايطالية ،

---

(٣٣) انتقل الحكم بعد ذلك الى اسرة البوربون .

(٣٤) عبد العزيز الشناوى : اوروبا فى مطلع العصور الحديثة طبعة القاهرة ١٩٧٥ جـ ١ ص ١٧٠ .

وامتازت هذه المرحلة بالصراع بين أسرة الفالوا وأسرة الهابسبورج خاصة عندما انتخب شارل الأول ملك أسبانيا امبراطورا للدولة الرومانية المقدسة ١٥١٩ م ولقب بشارل الخامس Charles Quint (٢٥) .

والذي يهمنا من هذه الحروب هو تأثيرها على الاتصالات الفرنسية العثمانية :، فقد انتهجت فرنسا سياسة جديدة غريبة على المجتمع الأوروبي في تلك الفترة الا وهي الاتصال بل والتعاون مع الدولة العثمانية المسلمة وعقد الاتفاقات معها وذلك لمؤازرتها في حروبها ضد أسبانيا ، بالاضافة الى رغبتها في حصول رعاياها على امتيازات في الشرق خاصة بعد أن توسعت الدولة العثمانية وبسطت سيطرتها على البحر المتوسط واصبحت تمثل قوة عسكرية كبيرة في القرن السادس عشر (٣٦) .

تبدأ المرحلة الأولى من الحروب الايطالية ١٤٩٤ — ١٥١٥ م بغزو شارل الثامن لايطاليا ، وقد نجح في بداية الأمر في اقناع البابا وحكام جنوه والبندقية بأن الغرض الرئيسي من حملته العسكرية أن تكون ايطاليا مركزا لعملياته العسكرية ولمشروعه الصليبي الكبير الا وهو الزحف على البلقان ثم الاستيلاء على القسطنطينية وبلاد الشام وبيت المقدس وأكد لهم ثقته في تحقيق مشروعه الكبير وتكوين دولة صليبية في المشرق الاسلامي (٣٧) .

ولكن سرعان ما أدركت القوى الأوروبية والبابا أن هدف شارل الثامن هو بسط سيطرته على ايطاليا بالفعل ، فتكونت

---

(٣٥) المرجع السابق : ص ١٧٤ — ص ١٧٧ .

(٣٦) Clement : Op. Cit., P. 4.

(٣٧) محمد فريد : المرجع السابق ص ٧٠ .

الأحلاف ضده لمنعه من تنفيذ مخططه (٣٨) ولكن شارل الثامن تمكن من احتلال جنوه وفلورنسا وبيزا ودخل روما ١٤٩٤ مدعيا حقه فى وراثة عرش نابولى وميلان (٣٩) .

والذى يهمنا من هذا الصراع هو الاتصالات التى دارت بين الأمير جم (٤٠) شقيق السلطان بايزيد الثانى (٤١) والبابا اسكندر السادس لمساعدته فى تولى الحكم بدلا من أخيه ولكن البابا بعد أن زحفت قوات شارل الثامن على ايطاليا فضل مهادنة بايزيد فأرسل اليه يطلعه على مشروع ملك فرنسا طالبا منه المساعدة وارسال القوات الى ايطاليا (٤٢) وبدخول شارل الثامن روما سلم البابا جم الى القوات الفرنسية بناء على طلبهم ، وذلك لأن شارل الثامن اعتقد انه يمكنه الاستفادة منه فى حملاته وقد صاحب جم القوات الفرنسية ولكنه ما لبث ان توفى فى ١٤٩٥ وقيل ان البابا دس له السم (٤٣) .

وجدير بالذكر أنه رغم غزوات شارل الثامن لايطاليا الا أنه

---

(٣٨) زينب راشد : **تاريخ أوروبا الحديث** . القاهرة ١٩٨٦ جـ ١ ص ٣٠٤ .

(٣٩) المرجع السابق ص ٣٠٤ .

(٤٠) نافس جم أخيه بايزيد لثانى على الحكم وقد نجح الأخير فى الحاق الهزيمة به فى يكى شهر ١٤٨١ ففر من البلاد واقام فترة فى مصر لدى السلطان قايتباى ثم اقام فى رودس ـ واتصل بالبابا اسكندر السادس فى روما ، على أمل أن يساعده ضد أخيه . وعندما دخلت القوات الفرنسية روما سلم البابا جم الى شارل الثامن .

(٤١) تولى بايزيد الثانى ١٤٨١ ـ ١٥١٢ وقد عرف ببايزيد الصوفى لكثرة المسالمة وميله الى السلم وحبه للعلوم .

(٤٢) محمد فريد : المرجع السابق ص ٧١ .

(٤٣) المرجع السابق ص ٧٢ .

اضطر للانسحاب من البلاد وتوفى عام ١٤٩٨ دون أن يحقق اية مكاسب لبلاده . ثم تولى الحكم ابن عمه لويس الثانى عشر (١٤٩٨ — ١٥١٥) وفى عهده تجددت الحروب الانطالية ونجحت فرنسا فى السيطرة على شمال ايطاليا . وقد تميزت هذه الفترة بالنزاع بين لويس الثانى عشر والبابا جوليوس الثانى خاصة وان ملك فرنسا اراد تنحية البابا عن منصبه وتقوية نفوذ الكنيسة الفرنسية ولذلك وصفه معاصروه بانه « جلب العار للكنيسة » (٤٤) .

وقد تميزت هذه الفترة باتصالات لويس الثانى عشر مع الغورى ومحاولته تقوية الصلات التجارية بين فرنسا ومصر فأرسل البعثات الى المماليك كما ذكرنا من قبل (٤٥) .

وبتوقيع صلح ١٥١٤ انتهت المرحلة الأولى من الحروب الايطالية وفشلت فرنسا فى احراز أى توسع اقليمى فى ايطاليا (٤٦) .

وتبدأ المرحلة الثانية من الحروب الايطالية من عام ١٥١٥ حتى ١٥٥٩ م وتمتاز هذه الفترة بالاتصالات المكثفة بين فرنسا والدولة العثمانية خاصة فى عهد فرانسوا الأول (١٥١٥ — ١٥٤٧) وهنرى الثانى (١٥٤٧ — ١٥٥٩) .

---

(٤٤) Cambridge : Op Cit., PP. 80 — 84.

(٤٥) Clement : Op. Cit., P. 5.

(٤٦) بمقتضى صلح ١٥١٤ تزوج لويس الثانى عشر الأميرة مارى شقيقة ملك انجلترا هنرى الثامن — فشلت فرنسا فى بسط سيطرتها على ايطاليا بينما نالت اسبانيا مواقع هامة فى نابولى ونافار واقتسمت ميلان مع السويسريين وظفر البابا بالسيطرة على فلورنسا .

لقد تجددت الحروب الايطالية في عهد فرانسوا الأول ، الذى نجح في تحقيق الانتصارات على التحالف الذى تكون من الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية واسبانيا وانتصر على قواتهم في معركة مارنيان عام ١٥١٥ واستولى على ميلان ، ولكن التنافس أشتد بينه وبين ملك اسبانيا خاصة بعد وفاة ماكسمليان امبراطور الدولة الرومانية المقدسة عام ١٥١٩ إذ رشح فرانسوا الأول نفسه لهذا المنصب كذلك شارل الأول ملك اسبانيا الذى تم انتخابه امبراطورا باسم شارل الخامس (٤٧) .

ولما كان فرانسوا الأول يؤمن ان تحقيق مجد اسرة الفالوا لن يتحقق الا باحراز الانتصارات على الهابسبورج كان من الطبيعى أن يشتد النزاع بينه وبين شارل الخامس (٤٨) ولذلك بدأ اتصالاته مع الدولة العثمانية لمساندته ضد عدوه كذلك قام بغزو ايطاليا عام ١٥٢٤ م ولكنه وقع أسيرا في معركة بافى ١٥٢٥ (٤٩) .

والواقع ان الاتصالات بين فرانسوا الأول وسليمان ازدادت خلال فترة أسره بل ان زوجته لويز ارسلت سفيرا الى استانبول لطلب النجدة من الدولة العثمانية . ولكنه لم يتمكن من اكمال رحلته اذ القى القبض عليه في البوسنة وقتل (٥٠) . فأرسل فرانسوا سفيرا آخرا هو جان فرنجيانى ١٥٢٥ الى استانبول طالبا من السلطان أن يهاجم ملك المجر أحد حلفاء شارل الخامس حتى يمنعه من تقديم المساعدة له . وقد أحسن سليمان استقبال

---

(٤٧) عبد الرحيم عبد الرحمن : **التاريخ الاوروبى الحديث والمعاصر** . دار الكتاب الجامعى ص ٧١ .

(٤٨) زينب راشد : المرجع السابق جـ ١ ص ١٠٢ .

(٤٩) المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٥٠) محمد فريد : المرجع السابق ص ٨٤ .

السفير الفرنسي (٥١) فى ٦ ديسمبر ١٥٢٥ واجزل له العطاء ووعده بمحاربة المجر (٥٢) . هذا وقد قدم سليمان القانونى المساعدات القيمة لفرنسا اثناء أسر ملكها مما أغضب الدول الأوروبية واعتبرت الاتصالات الجارية بين إفرنسا والدولة العثمانية « وصمة عار فى جبين فرنسا » لأنها اتصلت بالمسلمين ، ولذلك كان شارل الخامس حريصا على اجتذاب الدول الأوروبية فى صفه خاصة بريطانيا والتنديد « بموقف فرنسا المزرى » (٥٣) وأكد انه سيعمل على اعداد حملة صيلبية جديدة للقضاء على الدولة العثمانية (٥٤) .

وقد اطلق سراح فرانسوا الأول بعد اجباره على توقيع معاهدة مدريد ١٥٢٦ التى تنازل فيها عن ادعاءاته فى ميلان وجنوه ونابولى وفلاندر وارتو (٥٥) ونظرا للمساعدات القيمة التى قدمها سليمان القانونى لفرنسا اثناء أسر ملكها ، قيل ان فرانسوا الأول كان ينوى زيارة استانبول لتقديم الشكر الى

---

(٥١) ارسل سليمان رسالة الى فرانسوا الاول يعده بالمساعدة « أعلمنا ان عدوكم استولى على بلادكم وانكم الآن محبوسون وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم ، وكل ما قلتموه عرض على أعتاب سرير سدتنا الملوكانية وأحاط به علمى الشريف على وجه التفصيل فصار بتمامه معلوما فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم فكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر » محمد فريد ص ٨٥ .

(٥٢) المرجع السابق ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٥٣) Gran, J : A history of Europe 1949 — 1610 London 19 PP. 213 — 216.

(٥٤) الشناوى : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٩١ .

(٥٥) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ص ٧٤ .

السلطان العثماني ولكنه احجم عن تنفيذ هذه الزيارة خوفا من رد الفعل الأوروبي (٥٦) .

استمرت الاتصالات بين فرانسوا الأول وسليمان القانوني بعد اطلاق سراحه خاصة وان الدولة العثمانية أصبحت تسيطر على البحر المتوسط . وفي ١٥٢٨ جددت فرنسا الامتيازات التي حصلت عليها في عام ١٥٠٧ من الغوري في عهد لويس الثاني عشر ولم يتم تطبيقها . وحققت معاهدة ١٥٢٨ الأمن للتجار والرعايا الفرنسيين مع التعهد بعدم التعرض لكنائسهم وعدم فرض ضرائب عقارية عليهم وعدم عرقلة النشاط التجاري لسفنهم في موانى مصر والشام واوضح اتفاق ١٥٢٨ مدى قوة العلاقة بين الدولتين خلال هذه الفترة وينسحب ذلك على العلاقات السياسية والتجارية معا (٥٧) .

واستمرت الاتصالات السياسية بين الدولتين خاصة بعد ان تمكن سليمان القانوني من هزيمة ملك المجر في معركة موهاكس ١٥٢٩ فرشحت فرنسا حنا زابوليا من اسرة مجرية فوافق السلطان العثماني على هذا الترشيح وفي الوقت نفسه رشح امبراطور الدولة الرومانية اخاه فرديناند ملكا على المجر وقسمت المجر الى ثلاثة اقسام قسم تابع للدولة العثمانية وآخر لحنا زابوليا والثالث لفرديناند ملك النمسا وترجع أهمية هذه المعركة بالنسبة لفرنسا ألى انها أرادت مهاجمة حلفاء شارل الخامس في المجر والتي مثلت آخر حاجز يحول بين الدولة

---

(٥٦) Dyer, Arthur Hassall :Modern Europe 1525 — 1585 London 1901 Vol. II P. 102.

(٥٧) Clement : Op. Cit., P. 2.

العثمانيه ووسط اوروبا فاتفقت مصلحة الدولتين على احكام السيطرة العثمانية على المجر (٥٨) .

ورغم توقيع صلح كانبرى ١٥٢٩ بين فرنسا والدوله الرومانية المقدسة وانتقال السيادة فى شبه الجزيرة الايطالية الى شارل الخامس ، الا ان الحروب سرعان ما اندلعت مرة ثانية بين الدولتين (٥٩) وارسل فرانسوا الأول السفير الفرنسى رنسون الى استانبول فأحسن سليمان القانونى استقباله باحتفال لم يسبق لسفير غيره ووعده بمحاربة شارل الخامس وامداد فرنسا بكل ما تحتاج اليه من سفن وعتاد (٦٠) .

وقد تجدد الصراع من جديد بين الدولتين من اجل ايطاليا عندما خلا عرش ميلان فطمعت كل منهما فى الحصول عليه وارسل فرانسوا الاول بعثة لافوريه De La Forest الى استانبول ، وتم الاتفاق على تقديم المساعدة لفرنسا اثناء غزو فرانسوا الأول لايطاليا فتقوم قواته بغزو شمال ايطاليا ويتجه منها نحو لمبارديا ـ فى الوقت نفسه تقوم القوات العثمانية بغزو جنوب ايطاليا (٦١) . ولم تناقش بعثة لافوريه الأمور السياسية فحسب وانما وقعت البعثة اتفاقا هاما منح فيه رعايا وتجار فرنسا العديد من الامتيازات التى شملت حق التجول والاتجار وأجازت المبادلات الاقتصادية دون ضرائب وصار للقنصل الفرنسى فى استانبول والاسكندرية حق التحاكم ، وأصبح لا يحق للقضاة العثمانيين الحكم على رعايا وتجار فرنسا

---

(٥٨) الشناوى : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٧٣ .
(٥٩) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ص ٧٤ .
(٦٠) محمد فريد : المرجع السابق ص ٨٨ .
(٦١) Dyer : Op Cit., PP 130 — 131.

بناء على شكاوى الأهـالى الا فى حضور الصدر الأعظم ، كذلك منع حجز الأسرى بسفينة رفيق ، وحق السفن الفرنسية فى الرسو فى الموانى . ولا يجوز تفتيشها الا فى أماكن معينة (٦٢) وكان هـذا الاتفـاق اكثر شمولا (٦١) من اتفـاق ١٥٢٨ وقـد جدد ١٥٦٩ و ١٥٨١ – ١٥٩٧ – ١٦٢٤ – ١٧٣٩ (٦٤) .

وقد نفذ سليمان القانونى تعهداته لفرانسوا الأول فارسـل القائد البحرى بربروسا على ظهر مائة سفينة للالتحاق بقوات الادميرال بلانكار Blancard لدخول ريفولى (٦٥) . ولكن البابا بول الثانى اراد ايقاف النزاع بين الطرفين عام ١٥٣٨ (٦٦) .

وفى عام ١٥٤١ استأنف فرانسوا الأول الحرب ضد شارل الخامس فارسل المسيو رنسون الى استانبول ليتفق مع سليمان على الترتيبات النهائيـة للتحـالف بين الدولتين الا ان المبعوث الفرنسى قتل فى ميلان بايعاز من شارل الخامس ، الذى اراد قتله لعله يجد رسائل معه من فرانسوا الأول يوجد بها ما يمس الدين المسيحى فينشرها بين ملوك وامراء أوروبا ضـده ولكنه لم يجد شيئا (٦٧) . وحل المسيو بولان محل رنسون كسفير فى استانبول وطلب المساعدة من سيمان فوعده بارسال خير الدين الذى رافق بولان الى مارسيليا ونيس فحاصرها عام ١٥٤٣ وقام خير الدين

---

(٦٢) على حسونة : المرجع السابق ص ٦٨ .

(٦٣) يمكن مراجعة معاهدة الامتيازات فى محمد فريد : الدولة العلية .

(٦٤) الشناوى :الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها القاهرة ١٩٨٠ ج ١ ص ٧٨ .

(٦٥) Dyer : Op. Cit., P. 131.

(٦٦) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ص ٧٥ .

(٦٧) محمد فريد : المرجع السابق ص ١٠٠ .

بالعديد من العمليــات العسكرية فى ساحل كالابريا فى ايطاليا كما اشتركت قواته مع القوات الفرنسية فى مهاجمة المدن الايطالية وفى عام ١٥٤٤ وقع فرانسوا الأول معاهدة كرسبى مع شــارل الخامس فعاد خير الدين الى استانبول (٦٨) .

وفى عــام ١٥٤٧ ارســل فرانسوا الأول الســفير الفرنسى درامون D'Aramont لتجديد علاقات الود والصــداقة مع الدولة العثمانيــة ، وهى الرحلة الشهيرة التى سجلها الرحــالة الفرنسيون (٦٩) .

هذا وقد توفى فرانسوا الأول عام ١٥٤٧ م وخلفه ابنــه هنرى الثانى (١٥٤٧ ــ ١٥٥٦) الذى عمل على اثارة البروتستنت ضد شارل الخامس وهاجم الحدود الألمــانية عام ١٥٥٢ واستولى على فردان ومتز وفشل الامبراطور شارل الخامس فى انتزاع متز منه واضطر للتنازل عن العرش لأخيه فرديناند ليخلفه على العرش الامبراطورية الرومانيــة فى النمسا والمــانيا بينما تولى ابنه فيليب عرش اسبانيا والأراضى المنخفضة والممتلكات الأسبانية فى العــالم الجديد عام ١٥٥٥ (٧٠) .

وقد واصل فيليب الثانى ملك اسبانيا الحرب فى ايطــاليا ونجح فى الحاق الهزيمة بفرنسا عــام ١٥٥٧ م واصبح الطريق مفتوحا الى باريس خاصــة بعد هزيمة سانت كونتــان . ولكن سرعان ما عقد صلح أو معاهدة كاتو كمبرسيس عام ١٥٥٩ م بين أسبانيا وفرنسا بعد حرب طويلة انتهت بتنازل فرنسا عن ميلان

---

(٦٨) نوار : المرجع السابق ص ٨٠ .
(٦٩) انظر الفصــل الثانى .
(٧٠) زينب راشــد : المرجع السابق ص ١٠٣ .

ونابولى لأسبانيا وسافوى وبيدمنت واحتفظت فرنسا بالأسقفيات الثلاث متز — تول — فردان — وتزوج فيليب الثانى ملك أسبانيا بالأميرة اليزابيث ابنة هنرى الثانى ملك فرنسا — وانهت هذه المعاهدة المنازعات الطويلة بين أسرتى الفالوا والهابسبورج والتى كانت ايطاليا مسرحا لها (٧١) .

وجدير بالذكر أن هنرى الثانى احتفظ بصلات والده الوطيدة مع الدولة العثمانية فأبقى درامون سفيرا لفرنسا فى استانبول . كذلك حذى حذو والده بالتحالف مع سليمان القانونى أثناء حربه ضد شارل الخامس فعقد معاهدة فى أول فبراير عام ١٥٥٣ نصت على تعهد سليمان القانونى بارسال السفن البحرية الى هنرى الثانى لمساعدته ضد شارل الخامس فى خلال أربعة اشهر ويمكن لسليمان القانونى أن يستولى على ممتلكات شارل الخامس وبالفعل ساهمت القوات العثمانية فى الحرب الدائرة بين فرنسا وشارل الخامس فقامت السفن العثمانية بهجمات على ساحل كلابريا « وكانت هذه آخر دفعة حارب فيها العثمانيون والفرنساويون كتفا لكتف لتغير الظروف والأحوال حتى أتت حرب القرم » (٧٢) .

وبعد وفاة سليمان القانونى تولى ابنه سليم الثانى (١٥٦٦ — ١٥٧٤) فوطد صلاته بفرنسا وارسل المبعوثين الى ملك فرنسا يخبره بتوليه شئون الحكم .

كذلك تجددت الامتيازات التى منحت للفرنسيين من قبل وقد جددت فى عهد شارل التاسع (٧٣) .

---

(٧١) نوار : المرجع السابق ص ٨٠ ، ٨٤ .

(٧٢) محمد فريد : المرجع السابق ص ١٠٤ .

(٧٣) De Hammer, J. : L'Empire Ottoman. Paris 19 Tome 6 P. 7.

وعلى الرغم من استمرار العلاقات الوطيدة بين الدولة العثمانية وفرنسا الا انه عندما انهزمت الدولة فى معركة ليبانتو عام ١٥٧١ وتحطم أسطولها لم تتحرك فرنسا لتقديم يد المساعدة لها ولم يحصل العثمانيون من الفرنسيين سوى على « التمنيات القلبية الطيبة » ضد التحالف المقدس الذى اقيم ضدهم (٧٤) .

وفى عهد مرادخان الثالث (١٥٧٤ ــ ١٥٩٦) تجددت معاهدة الامتيازات مع فرنسا عام ١٥٨١ وأجبرت السفن الأجنبية على حمل الاعلام الفرنسية فيما عدا سفن البندقية (٧٥) غير ان بريطانيا مع آواخر القرن السادس عشر بدأت هى الأخرى تحصل على امتيازات لتجارها فى أملاك الدولة العثمانية فقد تأسست عام ١٥٨١ شركة الليفانت البريطانية للتجارة والتى كانت تتولى ترشيح السفراء البريطانيين فى استانبول وتدفع لهم الرواتب وظل هذا التقليد ساريا حتى عام ١٥٨٣ وهو تاريخ تنفيذ الامتيازات (٧٦) .

ونظرا لتحسن العلاقات السياسية بين فرنسا والدولة العثمانية توافد الرحالة الفرنسيون على مصر ولكن البعض منهم لم يرحب بالتقارب الفرنسى العثمانى خاصة **جريفان افاجار** ــ وكان من رجال الدين ــ فقد فضل شن الحملات الصليبية على الدولة العثمانية بدلا من التحالف معها واستنكر تورط فرنسا فى الحروب الايطالية وكتب بعد عودته من مصر قائلا « أنه من الأفضل لفرنسا أن تسعى للاستيلاء على مصر بدلا من سعيها

---

(٧٤) Dyer : Op. Cit., Tome II P. 343

(٧٥) Clement : Op. Cit., P. 4.

(٧٦) الشناوى : المرجع السابق **الدولة العثمانية** جـ ٢ ص ٧١٢ .

للحصول على دوقية ميلان ويجب الا يتورط المسيحى فى قتال اخيه المسيحى كما حدث فى ايطاليا ومن الأفضل توجيه جهود فرنسا للاستيلاء على مصر ، والتى يمكن الاستيلاء عليها بسهولة » (٧٧) .

ثالثا ـ العلاقات الفرنسية العثمانية فى القرن السابع عشر :

تميز القرن السابع عشر باتجاه فرنسا نحو الشرق وحرصها على كشف أسراره وارسال البعثات التبشيرية ، وتقوية الصلات التجارية لفتح أسواق جديدة . ولعب وزراء فرنسا دورا كبيرا لتحقيق هذه السياسة ففى عام ١٦٢٦ م أصبح الوزير ريشيليو رئيسا أعلى للبحرية والتجارة واسس ١٦٣٨ شركة فرنسا الجديدة فى العالم الجديد ولم يكتف ريشيليو بتوجيه اهتمامه للتجارة وانما حرص على اعلاء شأن أسرة البوربون فى أوروبا واضعاف نفوذ أسرة الهابسبورج القوية وقد حذا مزران حذوه وحرص على رفع مكانة الملك لويس الرابع عشر فى أوروبا ـ وأدرك وزراء فرنسا أن تفوقها التجارى سيتبعه بالضرورة تفوقها السياسى (٧٨) .

ورغم ما بذله ريشيليو ومزران لتنمية التجارة وفتح أسواق جديدة الا أن الاهتمام الحقيقى بالتجارة كان فى عهد الوزير كولبير Colbert الذى بدأ سلسلة من الاصلاحات الاقتصادية أثناء الستينيات من القرن السابع عشر ، فاهتم بتنشيط الصناعة والتجارة وانشئت العديد من الشركات التجارية فى حوض البلطيق

---

(٧٧) Clement : Op. Cit., P. 5 --- 6.

(٧٨) زينب راشد : المرجع السابق ص ١٧٨ .

والبحر المتوسط والهند الشرقية والعالم الجديد ، وشجع الملك لويس الرابع عشر هذه السياسة حتى انه ساهم بأمواله فى هذه الشركات وشجع النبلاء على الاسهام فيها (٧٩) . واستتبع الاهتمام بالتجارة نمو البحرية التجارية والأسطول الفرنسي وكانت خطة كولبير ان يمتد النفوذ التجارى الفرنسي حتى الشرق الأقصى (٨٠) .

وجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى سعت فيه فرنسا للانفتاح على الشرق توترت علاقاتها مع الدولة العثمانية خلال القرن السابع عشر وذلك بعد التقارب الفرنسي العثمانى الذى شهده القرن السادس عشر .

غير ان السنوات الأولى من القرن السابع عشر قد شهدت بداية طيبة للعلاقات الفرنسية العثمانية ففى عام ١٦٠٤ وفى عهد السلطان أحمد خان نجح السفير الفرنسي فرانسوا سافارى دى بريف (François Savary De Brèves) فى تجديد الامتيازات التى حصل عليها الفرنسيون منذ عام ١٥٣٦ مع احتفاظهم بحرية التجارة بشرط دفع الضرائب فى الجمارك . وقد اجتهد السفير الفرنسي طوال فترة عمله فى استانبول لتقوية النفوذ الفرنسي واضعاف النفوذ البريطانى (٨١) .

ثم بدأت العلاقات بين الطرفين تتسم بطابع التوتر عندما قدم أحد موظفى السفارة الفرنسية فى الآستانة المساعدات لنبيل

---

(٧٩) المرجع السابق ص ١٩٠ .

(٨٠) Deschamps : Histoire de La question Coloniale France Paris 1891 P. 140.

(٨١) Carré : Op. Cit., P. 20.

من بولونيا وساعده على الفرار من سجنه فأمر السلطان مصطفى خان بسجن الكاتب والمترجم والسفير الفرنسى ولم يفرج عنهم الا بعد تولى عثمان خان الذى حاول اعادة العلاقات الودية مع فرنسا فأرسل بعثته عام ١٦١٨ الى الملك لويس الثالث عشر برئاسة حسين جاويش يعتذر له عما لحق السفير الفرنسى من اهانة (٨٢) .

ثم انشغلت الدولتان حتى منتصف القرن السابع عشر باضطراب احوالهما الداخلية فبالنسبة للدولة العثمانية ساد الاضطراب فيها بسبب تكرار عزل السلاطين (٨٣) اما فرنسا فقد انشغلت بحرب الثلاثين عاما والتى انتهت بتوقيع صلح وستفاليا عام ١٦٤٨ كذلك ركز الساسة الفرنسيون خلال هذه الفترة على اضعاف شأن الهابسبورج فى أوروبا . وقد أدى انشغال فرنسا بأحوالها الداخلية الى ضعف نفوذها لدى الباب العالى ، حتى أن البندقية حصلت على حق حماية الكنائس المسيحية فى غلطة فى عهد مراد الرابع ولم تدافع فرنسا عن امتيازاتها فى بيت المقدس فآلت الى اليونانيين (٨٤) .

وفى عهد السلطان محمد خان (١٦٤٨ - ١٦٨٧) ازداد التوتر بين الدولة العثمانية وفرنسا فقد تم اكتشاف رسالة ارسلها دى لاهاى Da La Haye فى استانبول الى البندقية وكانت فرنسا تقدم لها المساعدات سرا أثناء دفاعها عن كريت ضد

---

(٨٢) محمد فريد : المرجع السابق ص ١٢٩ .

(٨٣) مصطفى خان ١٦١٧ عزل ١٦١٨ - عثمان خان عزل ١٦٢٥ - تولى مصطفى ١٦٢٢ - ١٣٩ مراد الرابع ١٦٣٩ - ١٦٤٠ - ابراهيم الأول ١٦٤٠ - ١٦٤٨ .

(٨٤) محمد فريد : المرجع السابق ص ١٢٩ .

القوات العثمانية ، ووقعت الرسالة فى يد كوبريللى الصدر الآعظم عام ١٦٥٩ فاستدعى السفير الفرنسى الذى رفض الحضور وأرسل ابنه بدلا منه فقام الوزير بسجنه واضطر دى لاهاى للذهاب الى الآستانة لانقاذ ابنه ولكنه رفض فك رموز الرسالة . ولما علم الوزير الفرنسى مزارن أرسل الى الآستانة سفيرا فرنسيا فوق العادة وهو دى بلندل ومعه خطاب من الحكومة الفرنسية يطلب فيه عزل الصدر الأعظم والاعتذار عن احتجاز السفير الفرنسى فلما رفض الصدر الأعظم محتويات الرسالة ساعدت فرنسا كريت جهارا وامدتها بأربعة آلاف جندى فرنسى (٨٥) . وفضلا عن ذلك فقد أمدت النمسا بالمال للانتقام من السلطان محمد خان اثناء حصاره لقلعة نوهزل ولكن كوبريللى احمد باشا نجح فى الاستيلاء على القلعة عام ١٦٦٣ فطلب امبراطور النمسا ليوبولد النجدة من أمراء أوروبا وطلب وساطة البابا اسكندر السابع لطلب المساعدة من لويس الرابع عشر ملك فرنسا فأمده بستة آلاف جندى فرنسى وأربعة وعشرين من حلفائه الألمان ولكن كوبريللى احمد احتل سرنوار على نهر راب وتوغلت قواته فى قلب الجيش النمساوى عام ١٦٦٤ وتدخلت فرنسا لنجدة النمسا فى موقعة سان جوتار وبعد عدة مراسلات تم ابرام الصلح بين الطرفين (٨٦) .

وحاول كولبير اصلاح العلاقات بين البلدين فأرسل سفيرا فرنسيا للتقرب من الدولة العثمانيــة ولكنه اساء الاختيار لأنه كلف دى لاهاى السفير السابق بهذه المهمــة فرفض كوبريللى احمد تجديد الامتيازات التجارية الفرنسية بل حرم فرنسا من مرور

---

(٨٥) محمد فريد : المرجع السابق ص ١٣٢ .

(٨٦) المرجع السابق ص ١٣٤ .

بضائعها من مصر الى السويس الى الهند ومنح جنوه امتيازات مثل بريطانيا فسارعت فرنسا بمساعدة كانديا التى كانت تحاصرها القوات العثمانيـــة لمدة عامين . ويذكر الرحالة الفرنسى الأب كوبان بأن لويس الرابع عشر عرض على البابا تكوين حلف صليبى ضد الأتراك ووضـــع ليبنى Leibniz مشروعـــا لغزو مصر ولكن لويس الرابع عشر لم يحـــاول تنفيذ المشروع لأنه كان حريصـــا على الامتيازات التى يحصل عليها الفرنسيون فخشى أن يفقدهـــا نهائيـــا (٨٧) .

وفى عام ١٦٧٠ ارسل لويس الرابع عشر السفير دى نوانتل Nointel على ظهر سفينة كبيرة الى الآستانة لارهاب الصـــدر الاعظم لتجديد الامتيازات ولكن الأخير أكد للسفير الفرنسى أن الامتيازات العثمانية « منحة سلطانيـــة » وليست «معاهـــدات اضطرارية » واجبة التنفيذ فازدادت العلاقات توترا بين الطرفين لولا تدخل كولبير الذى استطاع بسياسة اللين تارة والخضـــوع تارة اخرى ارضاء الدولة فجددت الامتيازات عام ١٦٧٣ وحصلت فرنسا من جديد على حق حماية بيت المقدس وتحسنت العلاقـــة بين الطرفين (٨٨) . ويذكر الأب كوبان ان الامتيازات الفرنسية جددت بعد جهد طويل وبعد العديد من المفاوضات والبعثات الى أن نجح الســـــفير الفرنسى جيردان Girardin عـــام ١٦٧٣ فى تجديدها (٨٩) .

هـــذا وعلى الرغم من توتر العلاقـــات بين فرنســـا والدولة العثمانية فى القرن السابع عشر الا أن هذا القرن شهد اهتماما

---

(٨٧) Coppin, J. :Les Voyages de Jean Coppin 1689 — Le Caire 1971 P. 3.

(٨٨) محمد فريد : المرجع السابق ص ١٣٦ .

(٨٩) Coppin : Op Cit., P. 4.

كبيرا بعـلوم الشرق فترجم De Ryer القـرآن الـكريم الى الفرنسية ، واهتم الرحـالة الفرنسى Thevenot بجمـع المخطوطات وتاسست فى فرنسـا فى عام ١٦٩٧ المكتبة الشرقيـة وشجع كولبير هذا الاتجاه واسست كراسى للغات فى كلية فرنسا فاسس كرسى للغة العربية والتركيـة والفارسية ومن اشهر من عمل فيها فاتييه Vatier الذى عمل استاذا للغة العربية ، وشجع كولبير الرحـلات الى الشرق الى فارس والهنـد ومصر وحرص على ارسال البعثات التبشيرية مثل بعثات الكابوسين(٩٠).

وسعيا وراء توطيد الصلات مع الشرق أصدر كولبير اوامره بتاسيس مدرسة للترجمـة لكى يعدل خريجوها كوسـطاء بين القناصـل والسـفراء الفرنسـيين والأتراك ــ فتم تأسيس Enfants De Langue للحصول على ترجمـة دقيقة وذلك فى ١٧ نوفمبر ١٦٦٩ وتم الاتفاق مع الآباء الكابوسين فى بيرا وازمير على ارسال ثمانية عشر طفـلا تتراوح أعمـارهم بين التاسـعة والعاشرة لكى يتعلموا فى اديرة هؤلاء الرهبـان اللغـة العربيـة والتركية ثم يتم توزيعهم بعد ذلك على اسكالات الشرق وقد عمل بعضهم أساتذة للغة العربية (٩١) فى الكلية الملكية الفرنسية وفى كلية لويس لى جران (٩٢) واهتم آخرون بالاستشراق وعينوا فى مدرسـة اللغات الشرقية ومنهم ايضـا من عمل مترجمـا لملك فرنسا (٩٣) .

---

(٩٠) Carré : Op. Cit., PP. 14 — 15.

(٩١) من هؤلاء De Flennes عمل مترجما فى الاسكندرية والقاهرة ١٦٩٥ م ثم أصبح أستاذا للغة العربية ١٧٣١ م فى كلية لويس لى جران .

(٩٢) Clement : Op. Cit., PP. 70 — 71.

(٩٣) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٣٧ .

وشـهد القرن السـابع عشر ارسـال البعثات الدينيـة الى الشرق وخاصـة بعثـات الكابوسـين . وطـلب الأب Pacifique De Provens عـام ١٦٠٩ من البابا ارسـال البعثات الكابوسينة الى الشرق وحصـل من البابا جريجورى الخامس عشر على اذن بتأسيس بعثتـه فى استانبول ثم اقنع البابا بارسال المزيد من البعثات الى ازمير وصيدا ومصر وأرسلت البعثات الى حلب وبغداد وفارس وانصب اهتمام الكابوسين فى مصر على تحويل اقباطهـا الأرثوذكس الى المذهب الكاثوليـكى وحاولوا ارسال بعثات الى الحبشة لنفس الفرض وقد تحدث كوبان وغيره من الرحالة الفرنسيين الذين زاروا مصر خـلال القرن السابع عشر عن تواجد الآباء الكابوسيين فى القاهرة ورعاية القناصل الفرنسيين لهم (٩٤) .

اسـكالة مصر :

هذا وقد اعتبر الفرنسيون اسكالة مصر من أهم اسـكلات الشرق وقد تولى رعاية مصالح الفرنسيين قنصل فى القاهرة (٩٥) وعين نوابا عنه فى الاسكندرية ودمياط ورشيد ، وكان معظم القناصل الفرنسيين من أقليم بروفانس أو مارسيليـا . وقـد اتسمت ادارتهم بالسوء وعدم النظام ولم يتقنوا فن الادارة ، ثم دخل القناصل الفرنسيون فى صراع فيما بينهم استمر لمدة ثلاثين عاما سجله الرحالة الفرنسيون الذين زاروا مصر خـلال القرن السابع عشر فقد ظلت القنصلية فى عائلة دى بريف لعدة

---

(٩٤) Clement : Op. Cit., PP 21 --- 24.

(٩٥) كان البنادقة اول من اقاموا لهم قنصـلا فى الاسكندرية ١٣٤٦ وكان القنصل الفرنسى يتولى منصبه من الاسكندرية بينما استقر نوابه فى القاهرة ولكن اصبحت القاهرة هى مقر القناصل الفرنسيين .

سنوات وفى عام ١٦٣٢ استأجر فليبار دى برمون Philbert De Bremond القنصلية فى مصر لمدة ست سنوات من القنصل دى بريف ولكن فى عام ١٦٣٤ اصدر الملك امرا بتنحية دى برمون لاتهامه بالاختلاس واوكلت شئون القنصلية الى تاجر بندقي هو سانتو سيجيزى Santo Seghessi ولكن دى برمون ظل يقدم التماساته للملك حتى اعاده لوظيفته عام ١٦٣٥ فنشب صراع بين القنصلين دى برمون الذى يريد استعادة نفوذه وسانتو سيجيزى وانقسم التجار الفرنسيون الى فريقين وضغط اتباع سانتو لدى الباشا كى لا يستقبل دى برمون ولا يعترف به وتم حل هذه المشكلة بتعيين كريستوف دى بريمون قنصلا ولكن سانتو ظل يعمل فى القاهرة مع التجار الايطاليين واصبح قنصلا لليونانيين غير انه اخذ يدس لكريستوف دى بريمون القنصل الجديد لدى الباشا ثم جاء تعيين كابر قنصلا للفرنسيين ليضيف صراعا جديدا بين كابر وعائلة دى بريمون عام ١٦٤٢ وانقسم التجار من جديد وسجل مونكونى اثناء زيارته للقاهرة هذا الصراع الدائر بين القناصل والذى لم ينته واستمر الى أن قام كولبير باصلاحاته المعروفة (٩٧) فقد لجأ القناصل الى الدس لبعضهم البعض لدى الباشا فى مصر ، ولدى السفير الفرنسى فى استانبول ، ولدى غرفة تجارة مارسيليا ، واعضاء برلمان اكس ، ولدي الملك مما ادى الى اضطراب التجار وسوء الأحوال فى اسكالة مصر .

---

(٩٦) Clement : Op Cit., PP. 53 — 59.

(٩٧) لم تهدأ الاحوال بتعيين كريستوف دى بريمون فقد نافسه بير دانطوان ثم عزل كريستوف وعين اونوريه بريمون ١٦٥٦ ثم فرانسوا دى بيج ان ان انوريه دى بريمون نجح فى النزاع القنصلية منه وظل قنصلا حتي وفاته ١٦٧٠ .

واخيرا لقد شهد القرن ١٧ اهتماما كبيرا من قبل الحكومة الفرنسية باسكالات الشرق خاصة اسكالة مصر وظلت الاسكالات مستقلة عن الملوك حتى عهد لويس الرابع عشر مما ادى الى انتشار الفوضى لأن الرقابة كانت ضعيفة على القناصل وانحصر اهتمامهم فى البحث عن الثروة وتضاعفت ديون الاسكالات خاصة اسكالة مصر حتى بلغت الديون مائتى الفا قرشا فى عام ١٦٦١ ولذلك بدأ كولبير سلسلة من الاصلاحات فأسس عام ١٦٦٤ مجلس التجار (٩٨) ثم جعل لغرفة تجارة مارسيليا كيانا مستقلا يشرف عليها ثلاثة قناصل وأربعة أعضاء من التجار وثمانية مستشارين والزم اعضاء الغرفة بالاجتماع يومين اسبوعيا لدراسة كل ما يتعلق بالتجارة (٩٩) .

ثم اصبح لزاما على اى تاجر يريد التجارة من الشرق ان ينتمى لغرفة مارسيليا لينال منها رخصة تمكنه من مزاولة نشاطه والتمتع بحماية دولته والتاجر الذى يرخص له بالسفر يجب الا يقل سنه عن اربعة وعشرين عاما وكانت الغرفة تدفع للقناصل رواتبهم ويرفعون اليها تقاريرهم وهم مسئولون أمام السفير الفرنسى فى استانبول (١٠٠) .

وجدير بالذكر أن اهم ما شغل كولبير واهتم به كان موضوع ديون الاسكالات فعمل على تقسيطها ودفعها . وكان الدائنون من الأتراك واليهود واصدرت غرفة تجارة مارسيليا فى ٢٦ مارس

---

(٩٨) شارك فى هذا المجلس جان سافارى الذى الف كتابا اعتبر دليلا للتجارة بعنوان :

Parfait Negociant

(٩٩) Clément : Op. Cit., P. 67.

(١٠٠) احمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٣٤ .

عام ١٦٦٩ اعلانا بفرض ضريبة على السفن المتجهة الى مصر لتسديد ديون فرنسا لمصر . وفى عام ١٦٧٤ أعلن القنصل الفرنسي دي بونكورس أن ديون فرنسا لمصر قد قلت بدرجة ملحوظة . واهتم كولبير بتسديد الديون للسلطات الحاكمة أولا ثم اليهود ثم الفرنسيين الذين قبلوا تقسيط الديون لحكومتهم على مدى خمس سنوات . كذلك أراد كولبير تفادي دفع الغرامات التى كانت تفرض على القناصل فطلب من السفير الفرنسى فى استانبول دى نواتل عام ١٦٧٠ (١٠١) أن يصدر أوامره الى القنصل الفرنسي فى مصر بضرورة تفادى الغرامات فقد كان باشوات مصر يفرضون الغرامات على القناصل وتعرض الكثيرون منهم للضرب والسجن (١٠٢) حتى ان كوبان الذى عين نائب قنصل فى دمياط كتب فى رحلاته انه هو نفسه تعرض للسجن عدة مرات ولم يفرج عنه الا بعد دفع الغرامة المفروضة (١٠٣) .

وفى عام ١٦٨١ اصدرت وزارة البحرية الفرنسية تنظيما للاسكالات وقواعد لادارتها منها ، حق القنصل فى ترحيل أى مواطن بسبب سوء سلوكه ، وحقه فى اصدار كافة الأحكام القضائية مع الاستعانة بأربعة اعضاء من النبلاء وعدم احقيته الاستدانة باسم فرنسا (١٠٤) .

ونتج عن اصلاحات كولبير ان القناصل أصبحوا موظفين ملكيين ، يتبعون الملك وهو الذى يعينهم بعد أن أخذ رأى غرفة تجارة مارسليا ومحافظ بروفانس ، وحرم عليهم الاشتغال

---

(١٠١) Clément : Op. Cit., P. 69.

(١٠٢) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٣٨ .

(١٠٣) Coppin : Op. Cit., P. 332.

(١٠٤) Clément : Op. Cit., P. 70.

بالتجـارة أو جباية اية رسـوم من التجـار وقرر لهم رواتب ثابتـة (١٠٥) .

وكان نجاح كولبير عام ١٦٧٣ فى تجديد الامتيازات نصرا كبيرا للتجار الفرنسيين فقد أعقبه تخفيض النسبة التى يدفعونها فى الجمارك فانخفضت الى ٣٪ بعد أن كانت ٢٠٪ فى الاسكندرية و ١٠٪ فى بولاق (١٠٦) .

ونظرا لأهمية اسكالة مصر فقد ارسـل الوزير شيجنيلى دورتيير Dortieres لزيارة مصر والتعرف على مشـاكل الاسكالة فيها واقنع دورتيير باشا مصر بالابقاء على نسبة الاعفاء المقررة للتجار الفرنسيين فى استانبول (١٠٧) .

ثم أصـدر الوزيـر بونشرتران Ponchartrain عدة أوامر لتنظيم عمل القناصل عام ١٦٩١ منها عدم أحقيـة القنصل فى أن تكون له حقوق على المنشأت الفرنسية ، ومنع القنصل وخدمه وضباطه من العمل بالتجارة ، والا دفع غرامة كبيرة . ثم حدد الوزير فى أوامر أخرى صـدرت عـام ١٦٠٤ مصاريف الاسـكالات وأوجه الانفـاق على المترجمين والخـدم والمنازل (١٠٨) .

واخيرا لقد حرص الرحالة الفرنسى كوبان على القاء الضوء على المشاكل التى عانت منها اسكالة مصر خاصـة ما يتعلق منها بالمنازعات بين القناصل .

---

(١٠٥) احمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٣٥ .
(١٠٦) Clément : Op. Cit., P. 76.
(١٠٧) Ibid : P. 79.
(١٠٨) Ibid : P. 79.

الفصـــل الثـــانى

تعريف بالرحالة الفرنسيين

تقلصت العلاقة بين الشرق الاسلامى واوربا بعد انتهاء الحروب الصليبية التى تركت أثرا مريرا فى نفوس المسلمين وانحصرت الصلات بين الطرفين على النواحى التجارية خاصة خلال القرنين الثالث عشر والخامس عشر (١٠٩) ثم أدى التوسع العثمانى فى البلقان الى تكوين الأحلاف المسيحية لوقف هذا التوسع ، كذلك استمرت الحملات الصليبية على شمال افريقيا خاصة بعد ضياع الأندلس من المسلمين . ورغم وجود الصلات التجارية بين الشرق واوربا الا أن التجار الأوروبين عاشوا على هامش المجتمعات الاسلامية وانعدمت العلاقات الاجتماعية بين الطرفين وساعد على ذلك تجمعهم فى حى خاص بهم تغلق أبوابه ليلا . وقد ساعد على انقطاع الصلات بين الطرفين ان البلاد العربية كانت حافلة بالمراكز الاسلامية مثل الأزهر والقيروان ودمشق وقد اطلق الأوروبيون عليها الكليات الملحقة بالمساجد فلم يشعر المسلمون خلال تلك الفترة بحاجاتهم الى الاتصال بالغرب (١١٠) .

وعلى الرغم من أن الحروب الصليبية قد تركت أثرا كبيرا فى نفوس المسلمين بعد تجربتهم مع الغرب الأوروبى الا ان ذلك لم

---

(١٠٩) احمد عزت عبد الكريم : **دراسات فى تاريخ العرب الحديث** القاهرة ١٩٧٠ ص ١٥ .

(١١٠) عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق ، **الدولة العثمانية** ، جـ ٢ ص ٧٢٤ .

يمنع من قدوم بعض الرحالة الى مصر (١١١) فى الفترة الواقعة بين القرنين الثانى عشر والسادس عشر ، غير ان هذه الرحلات اتسمت بالطابع الفردى ولم يحرص اصحابها على تسجيل مشاهدتهم ، وهو ما يفسر لنا ندرة الكتابات الأوروبية عن القاهرة (١١٢) .

وقد عبر الرحالة الفرنسى جان تينو عن اسفه لعدم وجود اعداد كبيرة من الرحالة الذين زاروا مصر قبل القرن السادس عشر وما ترتب على ذلك من ندرة الكتابات الأوروبية عن مصر . فذكر « ان معلوماتنا نادرة وقليلة عن توران شاه وحملات بيبرس وقلاوون والأشرف خليل والناصر محمد ولكنه ارجع سبب انقطاع الرحالة عن مصر والشرق الى الاضطرابات التى نتجت عن الحروب الصليبية والتى أدت الى انصراف الحجاج والمسافرين عن الشرق وعن زيارة الأماكن المقدسة واكد ان الذين زاروا مصر خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر « كانوا اما مدفوعين

---

(١١١) أهم هذه الرحلات خلال هذه الفترة ، رحلة الكونت دى فلاندر رينو دى شاتييون فى عام ١١٧٧ .

Comte De Flandre, Renaud De Chatillon

ورحلة الطتيب دى ماندفيل الى سيناء عام ١٣٣٦

Liégeois Jean De Mandeville

ورحلة مزبيار الى سيناء عام ١٣٤٧ Phillippe Des Mézières

ورحلة القس هوج عام ١٣٦٠ Huges

وفى عام ١٣٨٩ رحلة فيليب دارتوا Philippe d'Artois

وفى عام ١٣٩٥ رحلة البارون شامبونوا Champenois

وفى عام ١٤٢٢ ــ ١٤٨٥ رحلة جورج لنجيران Georges Lengheraud.

(١١٢) Jean Maire Carré : Voyageurs et écrivains en Egypte le Caire 1932. Tome 1 P. 2.

بعاطفة دينية جياشة لزيارة الأماكن المقدسة ، أو تجارا سعوا وراء المغامرة والربح الوفير » (١١٣) .

وجدير بالذكر أن القرن السادس عشر قد شهد اتصالات اوروبية جديدة بالشرق ومحاولات لدراسته والتعرف على احواله ففى اوائل هـذا القرن امر البابا جوليوس الثانى بتأسيس مطبعة عربية نشرت اول كتاب باللغة العربية وهو كتاب « صلاة سواعى » عام ١٥١٤ ، ثم انتقلت الطباعة العربيـة الى جنوه حيث نشر عام ١٥١٦ سفر الزابور بأربع لغات (١١٤) مع ترجمة لاتينية ثم انتقلت الطباعة العربية الى البندقيـة وطبع القرآن الكريم باللغة العربية عام ١٥٣٠ ثم توالى نشر العديد من الكتب العربيـة فى المطابع الايطالية واكثرها كتب دينية ، وذلك لحاجة البعثـات التبشيرية الكاثوليكية لها فى الشرق كذلك نشرت كتب علميـة منها « كتاب البستان فى عجائب الأرض والبلدان » طبع فى مطبعة الآباء اليسوعيين فى روما عام ١٥٨٤ ، وكتـاب مبـادىء اللغـة العربية ، وكتاب « نزهة المشتاق فى ذكر الامصـار والآفاق » للادريسى عام ١٥٩٢ وقانون ابن سينا فى الطب . اما المطبعة الملكية بباريس فطبع بها اول كتـاب وهو « صناعة النحو » لجبرائيل الصهيونى ، ثم انتشرت الطباعة العربيـة فى العواصم الأوروبيـة وتوالى صدور الكتب العربية (١١٥) .

وفى القرن السادس عشر ظهرت أولى الكتابات الهامة عن مصر باللغة الفرنسية سجلها الرحالة الفرنسيون الذين زاروا مصر خلال هذه الفترة . وتم تداول هـذه الكتابات من قصر الى قصر

---

(١١٣) Jean Thenaud : Op Cit., P. 7.

(١١٤) العبرية ـ اليونانية ـ الكلدانية ـ العربية .

(١١٥) احمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٩٠ ، ٩١ .

ومن كنيســة الى كنيسة وبقى البعض منهــا مخطوطا حتى تم طباعته . وتمثل هذه الكتابات وثائق تاريخية وحضــارية هامة . فقد اعتبر الفرنسيون أن اكتشاف مصر والشرق مغامرة محببة اليهم لأن « الشرق كان بعيدا عنهم بعد النجوم فى السماء » (١١٦).

ويعتبر جان تينو هو أول من زار مصر من الرحالة الفرنسيين فى مطلع القرن السادس عشر ، أى قبيل وقوعها فى يد الدولة العثمانية وقد زارها تينو مع بعثة السفير الفرنسى أندريه لى روى الذى اوفده الملك لويس الثانى عشر الى قانصــوه الغورى . وقد وضع تينو كتابا سجل فيه مشاهداته فى الشرق وخصص الفصول الأخيرة منه عن سيناء والأماكن المقدسة وعن القاهرة وكان الفرض الرئيسي لبعثه لى روى هو رغبة لويس الثانى عشر التقرب من الغورى خاصــة وأن فرنسا خلال هذه الفترة كانت مشغولة بحروبها فى ايطاليا ونزاعها مع البندقية (١١٧) .

وقد أعجب تينو بالشرق ومصر حتى انه ذكر « رغم ما كتبه العرب عن مصر والقــاهرة الا أن كتابــاتهم لا تضــارع كتابات الأوروبيين عنها وذلك لأنها تعكس وجهة النظر الأوروبية » (١١٨).

ويعد جريفان افاجار Greffin Affagart وهو من رجال الدين ومن أثرياء مدينة مين ــ أول من زار مصر بعد أن أصبحت ولاية عثمانية ، وقد زارها فى عام ١٥٣٣ (١١٩) ومن الاسكندرية بدأ فى زيارة سائر المدن المصرية فزار رشيد والقاهرة ثم ذهب الى

---

(١١٦) Carré : Op. Cit., PP. 4 — 5.
(١١٧) Clément : Op. Cit., P. 5.
(١١٨) Thenanud : Op. Cit., P. 17.
(١١٩) Clément : Op. Cit., P 5.

القدس وعاد الى القاهرة مرة ثانيــة لزيارة سيناء ، واثناء عودته انتشر الطــاعون فى البلاد فتوجه الى دمياط ومنها الى طرابلس وسوريا وبيروت وبيت المقدس ثم سافر الى قبرص ومنهــا الى بلاده (١٢٠) .

وجدير بالذكر ان العديد من الرحالة الفرنسيين الذين زاروا مصر فى القرن السادس عشر وكانوا من رجال الدين حرصــوا بعد تأديتهم فريضــة الحج فى القدس على زيارة مصر حيث المزارات المسيحية الهامة . ففى ســيناء يوجــد جبل موسى وكنيســة سانت كاترين وفى مصر القديمة كنيسة ابى سرجة (١٢١) .

امــا الطبيــب الفــرنسى بير بيـــلون دى مـان Pierre Belon De Mans ـ فكان عالمـا طبيعيا ـ قدم وصفا دقيقا للبيئة المصرية وزار مصر فى الفترة ما بين ١٥٤٧ ـ ١٥٤٩ ، وكذلك تجول فى آســيا واليونان والجزيرة العربية وجدة . وقد تم تجميع رحلات بيلون بطريقة سيئة فلا اهميــة لها من الناحية الأدبية ولكن ترجع اهميتها الى انها وصفت البيئات الطبيعية التى زارهــا بيلون . وقــد نشر كتــابه عن الاســـماك عــام ١٥٥١ Histoire des Poissons ، وفى عام ١٥٥٥ تم نشر كتابه عن العصافير Histoire de la nature des oiseaux أما كتابه الثالث فهو عن رحلاته الى الشرق نشر عام ١٥٥٥ Relation de Voyage وقد لقى بيلون تشجيعا من ملوك فرنســا خاصة هنرى الثانى وشارل التاسع . وفى كتابــه الذى خصص الجزء الثــانى منه للحديث عن مصر والاسكندرية وعقد مقارنة بين رشيد والاسكندرية ذكر فيه انه حرص اثنــاء رحــلاته على ارتداء مــلابس رهبـان

---

(١٢٠) Carré : Op. Cit., P. 6.

(١٢١) Ibid : P. 2.

الفرنسيسكان وذلك « لأن المسلمين أقل عداء تجاه رجال الدين من عدائهم للتجار والرحالة لأنهم يعتبرونهم باحثى ثروة » وقد زود بيلون كتبه بالرسوم والصور عن مظاهر الحياة الطبيعية التى شاهدها (١٢٢) .

هذا وقد قتل بيلون فى عام ١٥٦٤ فى غابة بولونى بعد أن هاجمه بعض اللصوص وتعتبر كتاباته اساسا لعلم الحيوان لأنها ركزت على وصف الحيوانات والنباتات (١٢٣) .

وخلال فترة تواجد بيلون فى الشرق زار مصر جان شسنو سكرتير السفير الفرنسى دارمون الذى كلفه الملك فرانسوا الأول بالتفاوض مع السلطان سليمان القانونى للتصدى لمخططات شارل الخامس فى البحر المتوسط فوصل دارمون الى استانبول عام ١٥٤٧ – وعندما توفى فرانسوا الأول خلفه ابنة هنرى الثانى فسعى بدوره لتجديد الصلات السياسية مع سليمان القانونى فارسل سفيرا جديدا هو دى فوميل De Fumel ، ولكن دارامون نجح فى ازاحته من طريقه بفضل اتصالاته وعلاقاته مع الوزراء فى استانبول ولم يقبل سليمان القانونى سوى التفاوض مع دارامون بوصفه الممثل الرسمى لفرنسا (١٢٤)» .

وأثناء وجود دارامون فى استانبول التقى بالطبيب الفرنسى بير بيلون الذى سبق الحديث عنه ، كذلك التقى برجل الدين

---

(١٢٢) Clément : Op Cit., P. 7.

(١٢٣) Pierre Belon de Mans : Le Voyage en Egypte 1547 Le Caire 1969. P. 3.

(١٢٤) Chesnau : Voyage de Sieur D'Aramont ambassadeur Pour Le Roy en Levant, faicts de Paris à Constantinople L'an 1547 et de Constantinople en Perse en l'an 1548 escripts par le Sieur d'Aramont. Le Caire 1984 P.3.

اندريه تيفيه ، وحسب اقوال الأخير لقى دارامون التشجيع من الأتراك وحصل على ثقة سليمان القانونى حتى انه دعـاه لمرافقته فى حملاته العسكرية فى فارس ، وعندما وصل دارامون الى حلب فى ٨ يونيو ١٥٤٩ استاذن السلطان سليمان فى ان يسمح له بزيارة الأماكن المقدسة فى بلاد الشام وبعد ان اتم زيارته لبيت لحم انتهز الفرصة وتوجه الى مصر حيث استقبله فى القاهرة الوالى التركى على باشا فى اغسطس ١٥٤٩ . ومن القاهرة اتجه الى الاسكندرية حيث التقى بالقنصـل الفرنسى والتجار الأوروبيين ، ثم عاد الى دمشق ومنها الى استانبول فى ٢٨ يناير ١٥٥٠ م ، ومكث عاما فى العاصـمة التركيـة اقنع خـلاله السـلطان سـليمان القانونى بالاشـتراك مع هنرى الثـانى ملك فرنسـا فى مهاجمـة شارل الخامس . وعندما عاد دارامون الى فرنسا عام ١٥٥٢ « قوبل بالازدراء وذلك لقبوله التعاون مع المسلمين والاتصال بهم » (١٢٥) .

ونتوقف قليلا عند هذه العبارة التى ساقها شسنو سكرتير السفير الفرنسى ونتعجب من ازدراء الراى العـام الفرنسى من سفيره بسبب اتصالاته مع الدولة العثمانية المسلمة التى لم يجد ملوك فرنسا انفسهم الحرج فى الاتصـال بها لمساعدتهم اثنـاء الحروب الايطالية والواقع ان هذه الروح العدائية تجاه الدولة العثمانية ظلت موجودة فى أوروبا وفرنسا نفسها هذا وقد اشرنا من قبل الى ان البابا جوليوس الثانى اعتبر الاتصـالات الفرنسية بالدولة العثمانية « عارا كبيرا » فقد تكونت فى القرن السادس عشر العديد من الحملات الصليبية ضد الدولة العثمانيـة على امل استبعادها من البلقان .

والواقع ان دارامون السفير الفرنسى لم يسجل بنفسه رحلته

---

(١٢٥) Chesnau : Op. Cit., P. 8.

الى الشام ومصر بل قام سكرتيره شسنو بهذا التسجيل وظهرت فى باريس خمس نسخ تحمل اسم « رحلة من باريس الى القسطنطينية » باسم شسنو
Voyage de Paris en Constantinople
توجد أربع نسخ فى المكتبة الوطنية فى باريس والنسخة الأخيرة فى مكتبة الارسينال (١٢٦) .

وعلى الرغم من ان أندريه تيفيه كان من رجال الدين الا انه اهتم اهتماما كبيرا بالجغرافيا والقت كتاباته الضوء على جغرافية الشرق ومصر . أضف الى ذلك ان معظم كتاباته لها طابع عالمى ، اذ قدم من خلالها وصفا جغرافيا دقيقا للبلاد التى زارها ، مثل البرازيل واليونان وتركيا وجزر بحر ايجه وايطاليا فى الفترة ما بين عام ١٥٤٩ ـ ١٥٥٣ . وقد واتته فكرة زيارة الأماكن المقدسة فى بلاد الشام ومصر عندما كان فى ايطاليا عام ١٥٤٩ وقابل الكاردينال دى لورين De Lorraine الذى عرض عليه السفر الى الأماكن المقدسة وقد تقابل تيفيه مع السفير الفرنسى دارامون أثناء قيامه بعدة رحلات على البحر المتوسط خلال عام ١٥٥١ ـ ١٥٥٢ . وقد مكث فى مصر أربعة أشهر خلال شتاء عام ١٥٥٠ ـ ١٥٥١ فقدم وصفا عنها فى كتاباته التى غلب عليها الكتابات الاغريقية القديمة وذلك عندما حاكى كتابات كل من هيرودوت وديدرو وطابع كتابات رجال الكنيسة المسيحية مثل سانت أوجستين (١٢٧) .

هذا وقد وضع أندريه تيفيه ثلاثة كتب سجل فيها رحلاته ومشاهداته نشر الأول عام ١٥٥٤ م باسم Cosmographie du Levant

---

(١٢٦) Ibid : PP. 10 --- 15.

(١٢٧) Thevet, André : Voyages en Egypte 1549 --- 1552 Le C 1984 PP. 35 --- 40.

تناول فيه زيارته لاستانبول واليونان والبحر الأسود ومصر .
ورغم انه تناول فى كتابه الحديث عن جغرافية الشرق بصفة عامة الا أنه خصص ثلاثة عشر فصلا عن مصر والاسكندرية وبدا واضحا تاثره بكتابات هيرودوت وبلوتارك وسانت أوجستين اذ سجل مشاهداته عن الطبيعة والحيوانات كذلك وصف الآثار والحضارات القديمة . ويرجع الفضل الى فرانسوا دى بلفوريه François De Belleforest صديق تيفيه فى كتابة كتاب تيفيه عن الشرق اى ان تيفيه لم يكتب كلمة واحدة وانما ترك هذه المهمة لصديقه بلفوربه ولكن تيفيه املى عليه ما شاهده وما درسه فى الشرق وقد طبع الكتاب فى عام ١٥٥٤ فى لبون ثم ظهرت منه عدة طبعات فى ليون عام ١٥٥٦ (١٢٨) .

اما كتاب تيفيه الثانى وهو عن جغرافية العالم Cosmographie Universelle فقد نشره عام ١٥٧٥ م بعد أن اصبح تيفيه الجغرافى الخاص بالملك هنرى الثالث وقد كتب بنفسه هذا الكتاب وخصصه للحديث عن الجغرافية العالمية وان كان قد حوى بعض الاخطاء الجغرافية وفى هذا الكتاب خصص فصلا بأكمله تحدث فيه عن طومان باى « واكد انه لا يقل مكانة عن صلاح الدين » وقد نشر هذا الكتاب فى أربعة اجزاء مزودا بالرسوم خصص الجزء الثانى منه لمصر حيث أفاض فى الحديث عنها فى عشرة فصول (١٢٩) .

اما كتاب تيفيه الثالث فكان عن الملوك Le Grand insulaire et Pilotage d'André Thevet Comographie du Roy

---

(١٢٨) Ibid : P. 84.

(١٢٩) Ibid : P. 75.

وقد نشر هذا الكتاب عام ١٥٨٧ وفيه قدم أيضا وصفا عن جزر المحيط الهندى ــ والبحر المتوسط والفلبين وبحر ايجه وجزر المالديف ورودس ، وسواكن وقدم وصفا لسكلوه وكتب عن رشيد (١٣٠) .

أما جان بالرن Jean Palerne فقد قام بزيارة مصر فى عام ١٥٨١ وطاف بالقاهرة ، والاسكندرية ، ورشيد ، وسيناء وقام بهذه الزيارة فى عهد الملك هنرى الثانى ، هذا وعلى الرغم من كونه من رجال الدين الا أنه كان شاعرا أيضا وله اشعار محفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس (١٣١) .

وقد سجل بالرن رحلاته فى كتاب طبع عام ١٦٠٦ حوى البلاد التى زارها فى الشرق طرابلس الشام وسوريا والأراضى المقدسة فى بلاد الشام ، استانبول ــ مصر ومدنها : الاسكندرية ، رشيد ، ودمياط (١٣٢) .

ومع نهاية القرن السادس عشر زار مصر دى فيلامون عام ١٥٨٩ وكان من رجال الدين أيضا وحصل على اذن من البابا فى روما بزيارة الأماكن المقدسة فتوجه الى بلاد الشام وزار الشام ودمشق ولبنان ثم زار مصر واستغرقت رحلته فى مصر أربعة أشهر زار خلالها مدن الوجه البحرى ، وأثناء عودته وقع فى أسر المغاربة ، ولكنه نجح فى فك أسره وتوجه الى البندقية

---

(١٣٠) Thevet : Op. Cit., P. 82.

(١٣١) Poesies de Jean Palerne Forezien

(١٣٢) Palerne, Jean : Le Voyage de Jean Palerne Foresien Le Caire 1970. PP. 1 — 2.

ومنها الى فرنسا ، وقد نشر كتابه عام ١٥٩٥ م ثم توالت طبعات النشر فطبع حوالى ٢٦ طبعة فى ليون وروان وباريس (١٢٣) .

وهكذا نصل من خلال استعراض الرحالة الفرنسيين الذين زاروا مصر فى القرن السادس عشر الى القول بأن معظمهم كانوا من رجال الدين وانهم حرصوا على تأدية فريضة الحج فى بلاد الشام . أو زيارة المزارات المسيحية فى مصر سواء فى القاهرة او مصر القديمة أو الاسكندرية أو صحراء سيناء فيلاحظ أن بعض هؤلاء الرحالة بالاضافة الى مهنتهم كرجال دين ـ قد كلفوا بمهام سياسية مثل جان تينو الذى اتصل بالغورى بناء على أوامر من لويس الثانى عشر ملك فرنسا كذلك سسنو سكرتير السفير الفرنسى دارامون وكان الغرض الرئيسى لدارامون هو الاتصال بالدولة العثمانية ولكنه استأذن سليمان القانونى لزيارة الأماكن المقدسة .

كذلك نلاحظ ان البعض منهم كان عالما طبيعيا ، كذلك كان منهم الجغرافى مثل اندريه تيفيه وكان منهم الشاعر والأديب مثل بالرن .

هذا وقد زار هؤلاء الرحالة مصر فى عهد اسرة الفالوا ابتداء من لويس الثانى عشر حتى هنرى الثالث ورحلاتهم جميعا تمت بعد أن اصبحت مصر ولاية عثمانية باستثناء جان تينو الذى زار مصر فى عهد الغورى .

وقد اقتصرت زيارة هؤلاء الرحالة على مدن الوجه البحرى مثل الاسكندرية ، دمياط ، رشيد ، القاهرة . وقدموا وصفا

---

(١٢٣) Le Seigneur De Villamont : Voyage en Egypte 1 Le Caire 1971. PP. 157 — 158.

لمدن وقرى الدلتا ولم يحـاولوا التوغل فى صعيد مصر وانمـا اكتفوا بمدن الوجه البحرى بالاضافة الى زيارتهم لسيناء لأن بها دير سانت كاترين بالاضـافة الى كونها معبرا لهم من بلاد الشام الى مصر .

وقد تشابهت كتابات الرحالة الفرنسيين فوصفوا جميعـا المزارات المسيحية وصحراء سيناء وميناء السويس والمدن المصرية والآثار القديمـة . وقدموا وصفـا موجزا لطبقـات المجتمـع والاحتفالات والأعياد .

وقد أطلعت على ما كتبه رحالة آخر معاصر للفترة الزمنية التى قـام فيهـا الرحـالة الفرنسيون برحـلاتهم الى مصر وهو الحسـن بن محمـد الوزان الزياتى (١٣٤) . الذى زار مصر عام ١٥١٧ والتقى بالسلطان سليم فى رشيد ـ فوجدت أن هناك تشابها كبيرا بين ما كتبه الوزان وما كتبه الرحالة الفرنسـيون خاصة فيما يتعلق بوصف المدن والقرى وان كانت كتابات الوزان جاءت أعمق واشمل فقد زار مدن الوجهين البحرى والقبلى (١٣٥) . وهكذا نجد أن كلا من الوضع السياسى فى القرن السادس عشر

---

(١٣٤) الحسن بن محمد الوزان الزياتى قـام بعدة رحـلات الى افريقيا وسقط أسيرا ١٥١٨ صنف كتابه وصف افريقيا ١٥٢٦ بعد ثمانيـة اعوام فى الأسر وفى اقامته فى ايطـاليا درس الايطالية ـ اللاتينية وتذكر بعض المصـادر انه استطاع الافلات من ايطاليا ١٥٢٨ ـ ١٥٣٠ واتجه الى تونس وتوفى فيهـا وقد لقب بليون الافريقى لانه عندما وقع فى الأسر اهدى الى البابا ليو العاشر فسماه ليو الافريقى وحمله على اعتناق المسيحية وقـد نشر كتابـه وصف افريقيـا ١٥٥٠ فى البندقيـة وفى ١٥٥٥ ظهرت ترجمـة فرنسية ثم ترجمـة لاتينية ١٥٥٦ ثم انجليزية ١٦٠٠ وهولندية ١٦٦٥ واعيد نشره بمختلف اللغات .

(١٣٥) الحسن بن الوزان الزياتى : وصف افريقيا . ترجمة عبد الرحمن حميدة الرياض ١٤٩ .

والتقارب الفرنسي العثماني الملحوظ في عهد أسرة الفالوا قد ساعدا الرحالة الفرنسيين على المجيء الى مصر .

اما عن الرحالة الفرنسيين الذين زاروا مصر في القرن السابع عشر فنجد أن منهم السياسي ورجل الدين والعالم الفيزيائي . ففي مستهل القرن السابع عشر زار مصر – السفير الفرنسي في استانبول فرانسوا سافاري دي بريف وكان قد ارسل من قبل الملك هنري الرابع لتجديد الامتيازات الفرنسية مع السلطان احمد (١٢٦) وقد زار دي بريف مصر اثناء مروره من تونس الى الأراضي المقدسة في فلسطين عام ١٦٠٤ ولم يسجل دي بريف اخبار رحلته الشرق بنفسه وانما سجلها مرافقه دي كاستل De Castel ونشرها بعد وفاه دي بريف باسم Du Castel Relatoin des Voyages de M. De Brevès

وتناول الكتاب احوال الشرق بصفة عامة وكان نصيب مصر فيما كتبه دي كاستل لا يتجاوز خمسين صفحه (١٢٧) . وجدير بالذكر أن البارون بوفو Beauvau رافق دي بريف في رحلاته في الشرق وزار مصر ورشيد والقاهرة عام ١٦٠٥ ولكنه لم يمكث في القاهرة سوى تسعة ايام وقد نشر بدوره كتابا وصف فيه رحلاته في الشرق لم يتجاوز ما ذكره من مصر سوى اثنتي عشرة صفحة (١٢٨) .

وتعتبر كتابات كل من فرمنال وكوبان ودى منكوني من أهم الكتابات التي أعطتنا وصفا دقيقا لمشاهدات وملاحظات هؤلاء الرحالة عن مصر في النصف الأول من القرن السابع عشر .

---

(١٢٦) Carré : Op. Cit., P. 20.
(١٢٧) Clément : Op. Cit., P. 23.
(١٢٨) Ibid : P. 33.

زار جيل فرمنال مصر عام ١٦٣١ وكان عضـوا فى برلمـان نورماندى جاء بصحبة بعض زملائه الى مصر فرافقه فى رحـلاته كل من دى فنسنان ستوشـوف De Vincent Stochove وهـو بلجيكى وزميله الفرنسى روبرت فوفيـل Robert Fauvel وقد انتهز الثلاثة فرصـة آدائهم مناسك الحج فى فلسطين فقرروا القيام بعدة رحلات وزيارات فى المناطق الواقعة بين سوريا والعراق ثم زاروا مصر وكان دى فنسنان ستوشوف هو أول من سجل وكتب عن رحلاته فى الشام ومصر ولتأثره بالثقافة الفرنسية دون رحلاته باللغة الفرنسية رغم انه كان بلجيكيا . وقد ساعده هو وزملاءه على التجول فى الشام ومصر فرمان حصل عليه من السلطان مراد الرابع سمح له بزيارة هـذه الأماكن وقد نشر دى فنسنان كتابه عام ١٦٤٣ سجل فيه ملاحظاته عن الشرق ومصر ثم أصدر طبعة ثانية عام ١٦٥٠ عدل فيها كثيرا من الأخطـاء الاملائية التى جاءت فى الطبعة الأولى وتوجد نسختان من كتـاب فنسنان فى مكتبة بروكسل فى بلجيكا (١٣٩) . وقد نادى دى فنسنان فى كتاب بضرورة تكوين الأحلاف الصليبية ضد الدولة العثمانية (١٤٠) .

اما فرمنال فقد قرر تأليف كتاب يتضمن اخبار رحـلاته الى الشرق ومصر خاصة بعد ان وجد أن كتاب زميله قد حقق نجاحا كبيرا فظهرت أولى طبعاته فى فرنسـا عـام ١٦٦٤ (١٤١) ثم ظهرت الطبعة الثانيـة فى روان وجاء كتـاب فرمنال مطابقـا لمـا كتبه ستوشوف مع بعض الاختلافات او الاضافات البسيطة.

---

(١٣٩) — Voyage De Sieur De Stochove faict es anneés 1630 1631 — 1632 — 1633.

(١٤٠) Voyage en Egypt 1631 le Caire 1875 — P. 1 — 5.

— De Vincent Stochove, Gilles Fermanel , Robert Fauve :

(١٤١) — Le voyage d'Italie et du Levant

وترجع أهمية كتابات فرمنال انه الوحيد من بين الرحالة الفرنسيين الذى تحدث عن الأزهر ودوره التعليمى كجامعة وأبدى اعجابه الشديد به .

أما الزميل الثالث لفرمنال وستوشوف وهو روبرت فومنيل فقد توفى فى روان ودفــن فى كنيسة سان دنيس عام ١٦٦١ (١٤٢)؛

هذا وتعتبر رحلة الأب كوبان من اهم الرحلات فى النصف الأول من القرن السابع عشر فقد زار مصر عام ١٦٣٨ وكان يعمل ملازما فى ســلاح الفرسان فى فرنسا ثم سافر الى استانبول وقام برحلتين الى مصر . الأولى فى أواخر يناير ١٦٣٨ واستمرت حتى يوليو ١٦٣٩ والثانية عام ١٦٤٣ وقد عمل خلالها قنصلا للفرنسيين فى دمياط وبعد عودته الى فرنسا أصبح رجل دين ونشر كتابــا عن رحلاته عام ١٦٨٦ م أوضح فيه مدى ضعف الدولة العثمانية وامكانية القضاء عليها وسافر خصيصا الى روما وعمل على اقناع البابا بضرورة تكوين الحمــلات الصيليبية من جديد ولذلك فان كتابه الذى نشر حمل عنوان « الحرب الصيلبية » (١٤٣) وقــد حرص فى كتابــه على اثارة حماســة العالم المسيحى واخذ يذكر الأوروبيين بأمجاد جودفرى بويون وغيره ودعــا الى اتحاد أوروبا ضد تركيا « وتحرير الشرق المسيحى منها » .

وقد اتسمت كتاباته عن مصر بالحقدوالكراهية فتارة يصف المصريين بأنهم وحوش وتارة بالأعداء ، وكراهيته للاسلام واضحة

---

(١٤٢) — Ferrmanel : Op. Cit., PP. 16 --- 21.

(١٤٣) — **Le Guerre Sainte Relation des Coyages faits dans turquie et la The'baide et la barbarie**

للغاية فى كتاباته ولكن ترجع اهميـة رحلتـه انه قدم صـورة للخلافـات والصراعات القائمة بين القناصـل الفرنسيين فى تلك الفترة (١٤٤) .

اما دى مكنونى Balthazar De Monconys فقد زار مصر عام ١٦٤٦ وكان يعمل ضابطا وينتمى لعائلة افرادها ضباط ولكنها تهتم بالعلم اهتماما كبيرا فتلقى تعليمه فى كليـه الجزويت فى ليون حيث تعلم اللغة العربية ولمـا كانت له اهتمامات بالفيزياء والكيمياء والرياضيات فقد أرسله والده الى اسبانيا لاتمام دراسته فى احـدى الجامعـات ، وعنـدما زار مونكونى مصر والشرق نشر نتائج رحلته عام ١٦٦٥ ولكنـه سجل فيها حرصـه على اجراء التجـارب والاهتمـام بالعـلوم . وقد عين فى أكاديميـة باريس (١٤٥) حيث التقى بأشـهر علماء فرنسـا خـلال هـذه الفترة (١٤٦) وقد زار مونكونى أوروبا ورشح فى بعثة دبلوماسية الى البابا اسكندر السابع فى روما وزار بريطانيا والتقى بعلمـاء جامعة أوكسفورد (١٤٧) كما زار هولندا والمـانيا وعندما عـاد الى فرنسا اسس فى ليون اكاديمية الفيزياء وقد نشر مونكونى كتابا عن رحلته عام ١٦٦٥ وظهرت أولى الطبعات فى ليون (١٤٨) ثم ظهرت

---

(١٤٤) Coppin : Op. Cit., PP. 5 — 7.

(١٤٥) عرف القرن السابع عشر فى أوروبا بقرن او عصر العبقريات لتطور العلوم والمخترعات فيه .

(١٤٦) عمل فيها كل من Sorbière — Pascal — Roberval — Gassendi Thevenot — Justel وغيرهم من علماء فرنسا البارزين فى القرن السابع عشر .

(١٤٧) Digby — Hobbes — Robert Boyle

(١٤٨) Journal des Voyages de Monsieur Monconys

طبعة ثانيـــة عام ١٦٦٦ ثم توالت الطبعات فى باريس عام ١٦٧٧ وفى ليبزج ظهرت طبعة باللغة الألمـانية عام ١٦٩٧ (١٤٩) .

ثم زار مصر بعض الرحالة الفرنسيين وان كانت كتبهم لم تحو معلومات وفـيرة عن مصر ومن اشـــهر هـؤلاء لى بوليـــه Laboullayes (١٥٠) الذى زار مصر عام ١٦٥٠ (١٥١) .

إما فى النصف الثانى من القرن السابع عشر فتعتبر رحـلة جان تيفينو من اهم الرحــلات وكان تيفينو يعمل فى مكتبـــة ملك فرنسا وتعلم اللغة العربيـــة فزار أوروبا وتركيا وسوريا وفارس والهند ثم زار مصر عام ١٦٥٧ ومكث فيها عامين حيث نزل فى ضيافة القنصل الفرنسى اونوريه دى بريمون . وترجع اهميـــة كتابات تيفينو الى انها القت الضـــوء على بعض الاحتفالات فى مصر مثل احتفالات الخزنة ـ استقبال الباشا الجديد ـ الوظائف الرئيسية فى مصر فكان من أوائل الفرنسيين الذين تناولوا هذه الموضوعات وان كان قد غلبت على كتاباته روح التعصب والكراهية للمصريين (١٥٢) .

وأخيرا فقد شهدت مصر فى النصف الثانى من القرن السابع عشر قدوم اثنين من الرحـــالة هما دارفيو والأب فانزليب ولكن هذه الرحلات لم تكن فى اهمية رحلة تيفينو فالأول دارفيو زار

(١٤٩) Monconys, Baltazar : Le Voyages en Egypte 1646 1647. Le Caire 1971. PP. 2 — 11.

(١٥٠) — Les Voyages et observation du Sieur Laboullaye sur L'Egypte.

(١٥١) — Clément : Op. Cit., P. 40.

(١٥٢) — Thevenot, J : Voyage de M.R. De Thevenot au Levant Amesterdam troisieme edition 1672 Vol. III P. 381.

مصر عام ١٦٥٨ وهو فارس من مارسيليا ارسله كولبير لدى الباب العالى لاطلاق سراح العبيد الفرنسيين فى تونس عام ١٦٦٨ وقد دعـا فى كتاباته لشن حروب صليبية على الدولة العثمانيـة وكانت له صلاته الوطيدة مع البابا انوسنت الحادى عشر وقد نشرت رحلاتـه فى القرن الثـامن عشر ونشرهـا الأب لابا Labat عام ١٧٣٥ ، دون فيها دارفيو ملاحظاته عن الشرق أما ما يخص مصر فكان اجزاء بسيطة . وقد تأثر بكتاباته موليير عندما الف روايته الشهيرة LeBourgeois Gentilhome (١٥٣) .

أما الأب فانزليب فلم يكن فرنسي الجنسية وانما كان المـانيا عمل فى خدمة فرنسا ارسله كولبير فى بعثة ودية الى الحبشـة فمر على مصر وزارها عام ١٦٧٢ حيث تجول فى صعيد مصر فى جرجا وبنى سويف وحرص خـلال رحلاته على شراء المخطوطات وقد نشرت رحلتـه عام ١٦٧٧ (١٥٤) بالتعـاون مع الكاردينـال D'Estreés فى ليون (١٥٥) .

نلاحظ ان رحالة القرن السابع عشر كان من بينهم رجل الدين مثل الأب كوبلن ومنهم رجل السياسـة مثل فرمنال عضو برلمـان نورماندى ومنهم عالم فيزيائى مثل دى مونكونى وقـد أعطانا هؤلاء الرحالة وصفا للمدن المصريـة وثرواتها وأن كان البعض منهم قد اسـتعار العديد من ملاحظـات رحـالة القرن السادس عشر عن ثروات مصر وتميز رحالة القرن السابع عشر

---

(١٥٣) — Carré : Op. Ctl., P. 18.

(١٥٤) — Nouvelle Relation en forme de Journal d'un voyage fait en Egypte Par Le P. Vansleb religieux Dominicaine en 1672 — 1673.

(١٥٥) — Carré : Op. Cit., P. 28.

انهم أعطونا فكرة عن الأوضاع السياسية فى مصر والنزاع بين البكوات والباشا ـ والوظائف الهامة مثل الباشا ـ الصناجق ـ السباهية .. الخ وبعض الاحتفالات مثل احتفالات سفر الخزنة او استقبال باشا وقد وصفوا هذه الاحتفالات بدقة حتى اننا اذا قارناها بما ذكره الأمير احمد الدمرداش فى كتابه الدرة (١٥٦) المصانة لوجدنا تطابقا كبيرا ، خاصة وان المؤلف الف كتابه فى النصف الثانى من القرن السابع عشر .

ويلاحظ أن رحالة القرن السابع عشر انصب اهتمامهم أيضا مثل رحالة القرن السادس عشر على مدن الوجه البحرى وزيارة الأماكن المسيحية فى سيناء ـ مصر القديمة ـ المطرية ـ الاسكندرية وان كان البعض منهم قد زار بعض مدن الصعيد مثل كوبان الذى تجول فى بنى سويف ولكنهم لم يعطونا فكرة واضحة ولا وصفا دقيقا لمدن الوجه القبلى وانما اكتفوا بالتركيز على مدن الوجه البحرى فقط .

---

(١٥٦) أحمد الدمرداش : الدرة المصانة . تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٩ .

الفصـــل الثــالث

الحياة الاجتماعية فى مصر كما صورها الرحالة الفرنسيون

أولا ــ طبقات المجتمع .

ثانيا ــ الاحتفالات والأعياد .

ثالثا ــ المنشآت الاجتماعية .

اولا ـ طبقات المجتمع المصرى :

قدم لنا الرحالة الفرنسيون وصفا لطبقات المجتمع المصرى وان كان هذا الوصف لا يخلو من التقصير وربما يرجع ذلك الى قصر المدة التى قضوها فى مصر ويمكن ان نجمل ما ذكروه على النحو التالى .

فى عهد الدولة المملوكية :

ذكرنا من قبل ان تينو كان من أوائل الرحالة الذين زاروا مصر فى مطلع القرن السادس عشر اى فى عهد الغورى ، ولما كانت رحلته سريعة الى مصر وذات طابع سياسى كان وصفه للمجتمع المصرى متسما بالسرعة فاكتفى بتقديم وصف للغورى ومجلسه، والمماليك المحيطين به ، وذكر انهم كانوا يمثلون الطبقة الحاكمة ، وقدم لنا وصفا عن ملابسهم ورواتبهم وما يتقاضون من هدايا ومنح من السلطان (١٥٧) .

اما طومان باى آخر حكام دولة المماليك فقد تحدث عنه تيفيه فذكر « انه لا يقل مكانة عن صلاح الدين » وانه اتصف بالشجاعة والاقدام وبموته انتهت دولة المماليك ونلمس من خلال كتابات تيفيه اعجابه الشديد بطومان باى (١٥٨) .

اما فى عهد الدولة العثمانية وبعد ان اصبحت مصر ولاية

---

(١٥٧) Thenaud : Op. Cit., P. 40.

(١٥٨) Thevet : Op. Cit., Universelle PP. 171 --- 180.

عثمانية نجد أن كتابات الرحالة الفرنسيين عنها لم تتناول بالتفصيل التقسيم الطبقى .

اكد الرحالة الفرنسيون أن الأتراك يمثلون الطبقة الحاكمة فى مصر ، وعقدوا مقارنة بينهم وبين المصريين « سكان البلاد الأصليين » فوصفوا الأتراك بأن « لغتهم مختلفة عن لغة المصريين » « وهم معزولون عن باقى الطبقات » وقد « خصصت القلعة لسكنى الباشا ومعظم الأتراك يعيشون فى المناطق المحيطة بها (١٥٩) .

وقارن تيفيه بين الأتراك وبين المصريين « سكان البلاد الأصليين » الذين وصفهم بانهم « أفضل من الأتراك حيث تسهل معاشرتهم » (١٦٠) وجاء ما وصفه الرحالة الفرنسيون عن المصريين مطابقا لما ذكره ليو الافريقى الذى وصف المصريين « انهم الطف من الأتراك الكسالى ، وهم مرحون لا يبخلون بالكلمة الطيبة ، لا يصنعون الكثير من الاساءات كما هو مألوف فى المدن الكبرى » (١٦١) .

أما مونكونى الذى زار مصر فى القرن السابع عشر فقد وصف المصريين بأن لهم عادات جميلة متسامحون وتمنى أن تكون هذه العادات بين المسيحيين « فهم بلا ضغينة ليس لديهم رغبة فى الانتقام ، تنتهى خلافاتهم بانتهاء اليوم يحرصون على تنفيذ العدالة والقضاء ولا يجبرون المسيحى ان يكون تركيا » أى أن يكون مسلما ، « رسولهم محمد ولكنهم يبجلون ويحترمون عمر وعلى » وعلى حد تعبيرهم فهم عبيد للأتراك (١٦٢) .

---

(١٥٩) Palerne : Op. Cit., P. 42.

(١٦٠) ليو الافريقى : المرجع السابق ص ٥٩١ .

(١٦١)

(١٦٢) Monconys : Op. Cit., P. 56.

بينما نجد ان تيفنو الذى غلب على كتابته الكراهيـة للاسلام والمصريين قد وصفهم قائلا « ان ارض مصر جنة ولكن يسكنها الشياطين سكانها يتصفون باللؤم والكسل والجبن وحب جمـع المـال » (١٦٣) وقد انفرد تيفنو دون غيره من رحـالة القرنين ١٦ ، ١٧ بهذا الوصف وذكر كوبان « بان المرء عندما يشعر بالضجر من سكان القاهرة فانه يطلق عليهم فراعنة » (١٦٤) .

اما عن الطبقة الحاكمة فى مصر فعلى رأسها الباشا التركى وقد اكتفى رحالة القرن السادس عشر بذكر أن الباشا هو حاكم البلاد أما فى القرن السابع عشر فقد ذكر مونكونى « ان الباشا هو حاكم القاهرة له سلطات مطلقة فله حق الاعدام دون سـماع الدفاع » (١٦٥) وذكر كوبان أن الديوان يعقده الباشا فى القلعة ثلاث مرات أسبوعيا ، والباشا يحضر الاحتفالات الهامة والدينية مثل احتفالات المحمل ورمضان وسفر الخزنة الى استانبول وفتح الخليج وهو لا يحصـل على منصبه بسهولة لأن عليه رشـوة الوزراء فى الآستانة لكى يعين فى وظيفته (١٦٦) .

إما المماليك فقد شكلوا طبقة متميزة فى مصر حتى بعد أن أصبحت تابعة للدولة العثمانية وقد اهتم تيفيه بتوضيح كيفية انهيار دولة المماليك وسرد المعارك التى دارت بينهم وبين سليم الى أن اضطروا للاستسلام . وعندما شنق طومان باى عام ١٥١٧ خرج المماليك يطلبون الرحمـة من سليم وهم يصيحون « ارحم عبيدك الضعفاء » كذلك أبدى استياءه من حرق سليم القـاهرة

---

(١٦٣) Thevenot . Op. Cit., P. 399.

(١٦٤) Coppin : Op Cit., P. 61.

(١٦٥) Monconys ' Op. Cit., P. 58.

(١٦٦) Coppin : Op. Cit., PP. 93 --- 95.

لأن القائد يونس باشا قذفه احد الأهالى بحجر فى راسه (١٦٧) . « وقد شغل المماليك الوظائف العسكرية الهامة ولكنهم لم يختلطوا بالمصريين شأنهم فى ذلك شأن العثمانيين » (١٦٨) .

وقد قارن بيلون بينهم وبين المصريين والأتراك فكانت كفة المصريين هى الأرجح حيث ذكر « ان المصريين افضل من المماليك لأنهم يتميزون بخفة الظل والمرح » (١٦٩) .

وقد هادن السلاطين العثمانيون المماليك خوفا من قيام الثورات فى بلاد بعيدة عن استانبول . وترجع اصول المماليك الى القوقاز والبحر الأسود وتلقوا تدريبا عسكريا وقد قتل منهم السلطان سليم اعدادا كبيرة عند فتحه لمصر ولكن سليمان هادنهم وسمح لهم بالاحتفاظ بامتيازاتهم وهم يشكلون طبقة عسكرية ومنهم من يدير الأقاليم (١٧٠) ومنهم من يعمل كاشفا وقد عهد الى البعض منهم بادارة مائة أو مائة وخمسين قرية ياخذون عائدها ولا يدفعون للباشا الا المبلغ المقرر فقط (١٧١) .

هذا ويعاون الانكشارية الباشا فى الحكم وقد قدم بيلون وصفا دقيقا عن أسلحتهم وملابسهم (١٧٢) وذكر تيفيه انهم « ركيزة الباشا فى الحكم » . والانكشارية أفراد يتم أسرهم فى سن الطفولة وقد شكلوا القوة الأولى فى خدمة السلطان والدولة (١٧٣) . « وهم يتميزون بالنظافة ، ثيابهم نظيفة يتسلحون

---

(١٦٧) Thevet : Op. Cit., PP. 171 --- 175.

(١٦٨) Ibid : P. 178.

(١٦٩) Belon : Op. Cit., 108 b

(١٧٠) Coppin : Op. Cit., PP. 83 --- 85.

(١٧١) Fermanel : Op. Cit., P. 25.

(١٧٢) Belon : Op. Cit., 113 b

(١٧٣) Thevet : Op. Cit., P. 178.

باسلحة جميلة حريصـــون على اداء الفرائض الدينيـــة » (١٧٤)
اما السباهية فرسان لهم نفس ملابس الانكشارية ولكنهم يتميزون ببراعتهم فى فنون القتال وركوب الخيل (١٧٥) .

وعلى راس كل مدينة اغـا يتولى ادارتها ويعين من قبل الباشا (١٧٦) يعاونه الجنود . وقد ذكر كوبان بعض الوظائف مثل الدفتردار وذكر انها وظيفة مالية ـ أمير الحج وهو رئيس القافلة، شيخ البلد هو الحاكم الحقيقى فى البلاد (١٧٧) .

وهكذا نلاحظ ان الرحالة خلال القرنين ١٦ ، ١٧ اعتبروا الأتراك والمماليك هم الطبقة الحاكمة والمتفردة فى مصر وان كان رحالة القرن السابع عشر قد ذكروا بعض الوظائف المخصصـــة لهذه الطبقة مؤكدين أن المناصب الهامة العسكرية أو الاداريـــة انما هى من نصيب الطبقة الحاكمة فقط . « فحتى الجيش كان يحرم على المصريين العمل فيه » (١٧٨) .

اما عن طبقة العلماء خاصة علماء الأزهر والقضاة والفقهاء فلم يتعرض الرحالة للحديث عنهـا ، وانما تحدثوا عن الطرق الصوفية وخاصـــة الطريقة البكداشـــية التى انتشرت فى مصر وقدموا وصفا للدراويش وعابوا عليهم ملابســـهم الرثة بل خلط بالرن فى القرن السادس عشر بين الدراويش وعلماء الدين فلم يستطع تحديد الفرق بينهم « وذكر أن الدراويش يمثلون طبقة

---

(١٧٤) Coppin : Op. Cit., P. 131.

(١٧٥) Ibid : P. 134.

(١٧٦) Monconys : Op. Cit., P. 56.

(١٧٧) Coppni : Op. Cit., P. 151.

(١٧٨) Ibid : P. 135.

علماء الدين » (١٧٩) . غير ان الاختلاف قد وضح فى القرن السابع عشر بل نجد ان فرمنال يشيد بدور الأزهر كمؤسسة وجامعة تعليمية وهو يعتبر الرحالة الوحيد الذى القى الضوء على الأزهر وطلابه فذكر « ان التلاميذ يدرسون فيه الطب والفلك والفلسفة وانه لابد من توقيع الكشف الطبى على الطلاب قبل انتسابهم اليه ويسمح لأهاليهم بالزيارة » والأزهر من اجمل جامعات العالم وبه اعداد كبيرة وهائلة من الكتب ويعاب على علمائه عدم استخدام المطبعة فما زالوا ينسخون الكتب وقد استطاع فرمنال دخول الأزهر لمدة ساعتين وسمح له برؤية الطلاب وتقابل مع بعض علماء الأزهر واكد لهم اعجابه بهم وذكر « انهم يكرهون الأتراك » (١٨٠) .

اما الدراويش فقد ادرك فرمنال الاختلاف الواضح بينهم وبين علماء الأزهر فذكر « ان الدراويش يتواجدون بأعداد كبيرة فى المدن المصرية ولكن عددهم كبير فى مدينة القاهرة والبعض منهم يرتدى جلود النمور او الأسود واحزمة من جلد الثعابين وملابسهم غريبة والبعض منهم يضع خبزا وسكرا فوق راسه ويرتدى الريش الملون ولهم زعيم يطلق صفيرا مميزا يتجمعون او يتفرقون عند سماعه » (١٨١) . وقد ذكر مونكونى انه رأى بعض الدراويش يرقصون « دون كلل او تعب ويضعون أوراق الزهور الزابلة فوق رؤوسهم » (١٨٢) .

ولقد افاض الرحالة الفرنسيون فى وصف احوال طبقة الفلاحين فقد استرعت انتباههم بفقرهم وبؤس معيشتهم وقد

---

(١٧٩) Palerne : Op. Cit., PP. 85 — 90.

(١٨٠) Fermanel : Op. Cit., PP. 85 — 90.

(١٨١) Ibid : PP. 53 — 54.

(١٨٢) Monconys : Op. Cit., P. 7.

وصفوا الفلاحين « بأنهم سود البشرة من جراء تعرضهم للشمس » (١٨٣) وتعجب بيلون من ان هذه الطبقة رغم انها من « اكبر طبقات المجتمع حجما الا انها اقلها امتيازا » فملابسهم رثة يعيشون فى منازل من الطوب النيىء ، غذاؤهم بسيط من الحبوب تزداد مصائبهم فى حالات الفيضان أو تشريق الأراضى فيضطرون الى الهجرة من اراضيهم والاقامة فى المناطق والتلال المرتفعة واكد بيلون انه « لا يمكن مقارنة الفلاحين بأوضاعهم المتردية بطبقة الأتراك أو المماليك » (١٨٤) ، فهم يتعرضون العديد من المجاعات وذكر فيلامون أنهم اضطروا لأكل سيد قشطة فى دمياط بسبب انتشار المجاعة .

ومن الطرائف التى ذكرها شسنو وانفرد بذكرها « ان اطفال الفلاحين يظلوا عرايا لا يرتدون ملابس حتى يبلغوا سن العاشرة » (١٨٥) .

البدو :

يسكنون الجبال والصحراء ولا توجد لديهم زراعة ولا منازل شبههم تيفيه « بالتتار » يعيشون فى خيام حياتهم قاسية « لا ينتمون لبشر » « متوحشون » وتعجب انه « على الرغم من تبعيتهم للأتراك الا انهم لا يخشوتهم » فاذا وقع تركى فى أيديهم سارعوا بذبحه ، اذا القوا القبض على مسيحى او أرمنى أو يونانى فانهم يكتفون بسلب أمواله ثم يجردونه من ملابسه ، وأكد « انهم

---

(١٨٣) Chesneau : Op. Cit., P. 28.
(١٨٤) Belon : Op. Cit., P 99 b --- 105 a
(١٨٥) Villamont : Op. Cit., P. 180.

رغم كراهيتهم للأتراك الا انهم يدفعــون لهم الضرائب عن كــل ما يملكونه من جمال وماعز » (١٨٦) .

وقد ذكر بالرن أن البدو لا يذهبون الى المساجد ولا يحرصون على اداء الصــلاة مثل المصريين والأتراك « ولا يهتمون ســوى برعى ماشيتهم » (١٨٧)وهم يتنقلون من‌مكان لآخر بحثا عن المــاء وكل ما يملكون من متاع يضعونه على ظهر الأبل وهم « مسـاكين وتعساء » على حد وصف بالرن لهم (١٨٨) .

وقد وصفهم كوبان فى القرن السابع عشر بأنهم يعيشــون فى بؤس وشقاء وهم متشردون ، وقارن بينهم وبين بدو الشــام فأكد أن بدو مصر أسوأ حالا لأن بدو سوريا يتاجرون مع التجار ويبيعون الصــابون والأعشــاب حتى انهم يصــدرونها الى طولون ومارسيليا بينما بدو مصر لا يتاجرون فى شيء (١٨٩) « ورغم انهم تابعون للأتراك الا انهم لا يخضعون لهم » (١٩٠) .

أهــل الذمــة :

أما عن أهل الذمة فقد ذكر الرحالة الفرنسيون أنه من السهل التعرف عليهم وذلك لأن ملابسهم مختلفــة عن مــلابس الأتراك يرتدون ملابس من اللون الأزرق أما اليهود فيلبســون اللون الأصفر (١٩١) ويعمل الأقباط فى الوظائف المــالية والادارية

---

(١٨٦) Thevet : Op. Cit., Universelle PP. 146 --- 149.

(١٨٧) Palerne : Op. Cit., PP. 54 --- 55.

(١٨٨) Ibid : P. 126.

(١٨٩) Coppin : Op. Cit., P. 36.

(١٩٠) Monconys : Op. Cit., P. 53.

(١٩١) Ibid : P. 135.

ومذهبهم « ارثوذكسى » « ونادراً ما يقترفون الجرائم لأنهم يخشون العقوبات » وبعض كنائسهم مهملة غير نظيفة يكثر بها الوطاويط « وادوات رجال الدين من الخشب حتى لا تنكسر وشكل البطريرك افضل من غيره من القساوسة لأنهم لا يعتنون بأنفسهم كثيرا » (١٩٢) .

اليهـــود :

وكانوا يعملون فى الجمارك خاصة جمرك بولاق وقد اعتنق الكثيرون منهم الاسلام وقد علل تيفيه ذلك « بالرغبة فى الحصول على مكاسب تجارية وحريـــة أكثر فى الحركة ، ولكنهم سرعان ما يرتدون الى دينهم » (١٩٣) وقد القى تيفيه اللوم على اليهود لأنهم لعبوا دورا فى تسليم القسطنطينية الى الأتراك العثمـانيين فقد تظاهروا باعتناق المسيحية وخانوا الامبراطور وكذلك أكد أن الخيانة من صفاتهم فهم المسئولون عن استيلاء العثمانيين على كثـير من منـاطق أوروبـا مثـل رودوس ونابولى وبلجـراد وبودابست (١٩٤) .

واليهود متواجدون فى جميع المدن المصرية كالاسكندرية ، دمياط ، رشيد « ولا تخلوا مدينة منهم » (١٩١) وفى القاهرة يعمل الكثيرون منهم فى خان الخليلى (١٩٦) وقد قدر تينو اعداد اليهود فى مصر بعشرة آلاف ، ولهم منازلهم الخاصـــة ومتاجرهم ويقيمون فى حـارة اليهود قرب الموسـكى (١٩٧) وهم متمسـكون بالتوراة

(١٩٢) Thevet : Op. Cit., Universelle P. 180.

(١٩٣) Ibid : P. 185.

(١٩٤) Ibid : P. 182.

(١٩٥) Belon : Op. Cit., 98 ba.

(١ ٦) Palerne : Op. Cit., P. 64.

(١٩٧) Thenaud : Op. Cit., P. 50.

والتلمود وقد وصفهم مونكونى بأنهم « لا يتكلمون الا كلاما فارغا ويقصون المئات من القصص من التلمود كلها تتسم بالسذاجة » لهم احتفالاتهم الخاصـــة ويستخدمون احيانا اللغـــة العبرية فى الكتابة (١٩٨) .

وللأقباط حارات خاصة بهم وقدر تينو عددهم فىالقـــاهرة بعشرة آلاف وفى مصر اعداد كبيرة من اليعاقبة والسريان (١٩٩) ويتركز الأقباط فى المناطق مثل مصر القديمة (٢٠٠) .

إما عن طبقة التجار فقد سجل تينو ملاحظة طريفة وهى « ان التجار المصريين يتمتعون بثراء كبير ولكنهم يخفون هـــذا الثراء خوفا من السلطات المصرية » (٢٠١) وهم يتاجرون فى مختلف انواع البضـــائع من ملابس وطباق وحبوب وبهارات وأســـلحة وحلى (٢٠٢) .

وقد اكد فيلامون انتعـــاش التجـــارة فى المدن المصريـــة وفى القاهرة وذلك لأنها كانت لها علاقاتها التجارية الوطيدة مع آسيا وافريقياواوروبا والهند ، واكد ازدحام القاهرة بأعداد كبيرة من التجار وأن العمليات التجارية تتركز فى « احياء الغورية وخان الخليلى » الذى تعرض فيه البضـــائع الهندية من الروائح والمسك والعنبر (٢٠٣) أما الغورية فتعرض فيهـــا السجاجيـــد التركيـــة والملابس القطنية ومنتجات تركيا وفارس والهند (٢٠٤) .

---

(١٩٨) Monconys : Op. Cit., P. 151.

(١٩٩) Thenaud : Op. Cit., P. 50.

(٢٠٠) Thevet : Op. Cit., P. 455.

(٢٠١) Thenaud : Op. Cit., P. 40.

(٢٠٢) Thevet : Op. Cit., Levant P.14.

(٢٠٣) Villamont : Op. Cit., P. 192.

(٢٠٤) Palerne : Op. Cit., P. 42.

هذا وقد ركز الرحالة الفرنسيون حديثهم عن الجاليات الأوروبية وخاصة الفرنسية . التى يقوم افرادها بالتجـارة . وقد ذكر الرحالة أهم المنتجات التى يحصـل عليها الفرنسيون من مصر مثل القطن ، الجلود ، الأرز ، العقاقير الطبية ، ريش النعام ، ولمـا كان بيلون عالمـا طبيعيـا فقد اهتم بذكر انواع العقاقير الطبية والنباتات والأعشاب المختلفة فى محلات العطارة مثل السنط والنترات (٢٠٥) أما ما يبيعه التجار الفرنسيون فى مصر فقد ذكر دارفيو بانه قليل ولكن أغلبه من منتجات الجوخ من نورماندى وبروفانس (٢٠٦) .

وقد واجهت الفرنسيين بعض المصـاعب مثـل اغـارات القراصنة وسوء تنظيم الاسكالة المصرية ومنازعات القناصل ـ بالاضافة الى دفع الجمارك فى الاسكندريـة ـ وبولاق ـ كذلك تعرض التجارة لاغارات البدو فى الطريق من رشيد الى القاهرة فقد شكى كوبان من تعرضـه للسرقة . بالاضافة الى الغرامات التى كانت تفرض على التجار وعلى القناصل انفسهم فالقنصـل الفرنسى دانطوان تعرض للسجن كذلك انوريه دى بريمون وكوبان نفسه سجن عندما كان يعمل نائبا للقنصل فى دمياط (٢٠٧) .

وقد قدم لنا تيفيه وصفا لموكب من التجار الأجانب اثناء ذهابهم الى القلعة لمقابلة الباشا فتحركوا « فى صحبة عدد من الأقزام القادمين من النوبة والسودان واخذ هؤلاء الأقزام ينظمون خط سير التجـار وهم ينشدون الأغانى وكان البعض منهم يمتطى

---

(٢٠٥) Belon : Op. Cit., 113 b.

(٢٠٦) Clément : Op. Cit., P. 48.

(٢٠٧) Coppin : Op. Cit., P. 259.

ظهر الماعز بدلا من الخيول وقد أحسن الباشا استقبال التجار الأجانب » (٢٠٨) .

وقد خصصت فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد خانات للتجار الفرنسيين (٢٠٩) ومن الجاليات التى جاء ذكرها المغاربة (٢١٠) الذين لعبوا دورا هاماً فى التجارة الداخلية والخارجية وأصبح لهم العديد من الوكالات التجارية (٢١١) .

طبقة ارباب الحرف :

عدد الرحالة الفرنسيون العديد من الحرف فى المدن المصرية ومن أهمها السقاية وقد كثر عدد أفرادها فى القاهرة التى بنيت بعيدة عن النيل فكان لابد من توصيل مياه النيل الى المنازل والحمامات وكان السقاؤون يحملون قربا من الجلد الأصفر يعلقونها فى رقبتهم (٢١٢) وذكر ليو الافريقى أن السقائين كانوا يستخدمون الجمال لنقل المياه الى ارجاء القاهرة « وغالبا ما تكون هذه القرب مزينة مزخرفة مجهزة بأنبوبة من النحاس الأصفر » (٢١٣) .

وعدد فيلامون أنواعا أخرى من الحرف مثل الحدادين والسروجية وصناع الغزل والنسيج وصناع النحاس وأكد أن

---

(٢٠٨) Thevet : Op. Cit., Levant P. 13.

(٢٠٩) Palerne : Op. Cit., P. 6.

(٢١٠)

(٢١١) لمزيد من التفاصيل عن دور الجالية المغربية انظر عبد الرحيم عبد الرحمن .

المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧ — ١٧٩٨ — تونس ١٩٨٢ .

(٢١٣) ليو الافريقى : المرجع السابق ص ٥٩٢ .

سليم الاول عندما فتح القاهرة اصطحب معه أثناء عودته الى استانبول العديد من الصناع المصريين (٢١٤) .

ولفت نظر كوبين الحلاقون فذكر ان « البعض منهم يعمل فى الشـارع والبعض الآخر لهم محـلات خاصـة بهم » وانهم يستخدمون قطعة من الجلد لسن موسى الحلاقة وأن الأحواض التى يستخدمونها فى محلاتهم مصنوعة من النحاس وحجمها اكبر من المستخدمة فى فرنسا ، وأن الحلاقين يقومون ببعض الأعمـال التى اعتبرها اضافية مثل تنظيف الأذن وقص الأظافر (٢١٥) .

اما حرفة تفريخ البيض فما من رحالة زار مصر الا وذكرها مع اعجابه الشديد بمهـارة المصريين فى هذه الصناعة حيث يتم وضع البيض فى فرن متعدد الطوابق يكون الطـابق الأخير مثقوبا ويتم اشـعال نار هادئة لمدة أسـبوع فيبدأ بعد ذلك التفقيس وتخرج الفراخ الصغيرة بأعداد كبيرة وقد ذكر بيلون انه لا أحد يفوق المصريين فى هذه الصناعة (٢١٦) واكد الحسن بن الوزان بأن « الحكومة المصرية تفرض الضرائب على هـذه الصناعة » (٢١٦) وذكر فرمنال « ان الفراخ الصغيرة يخصص البعض منها للباشـا ويخصص جزء آخر للعاملين فى الأفران وجزء يخصص لمن يقومون بجمع البيض والفلاحون ملزمون بتقديم الثلثين من بيض دجاجهم كل خمسة أشهر الى القاهرة التى يوجد بها خمسة وعشرون فرنا ويتم التفقيس فى شهرى ابريل ومايو » (٢١٨) .

---

(٢١٤)

(٢١٥) Coppin : Op. Cit., P. 142.

(٢١٦) Belon : Op. Cit., 102 a.

(٢١٧) ليو الافريقى : المرجع السابق ص ٥٩ .

(٢١٨) Fermanel : Op. Cit., P. 69.

اما حرفة الصيد فاصحابها منتشرون على طول مجرى النيل ولهم مراكب خاصة بهم ولكن اعداد الصيادين تتزايد فى المدن الساحلية خاصة رشيد التى يعتبر الصيد فيها الحرفة الرئيسية للسكان « فلا عمل آخر لهم سوى الصيد » (٢١٩) .

وقد وجد فى القاهرة اعداد كبيرة من الباعة الجائلين يبيعون الفواكه واللحم المشوى والجبن « يصعب السير فى شوارع القاهرة بسبب هؤلاء الباعة الذين يندفعون فى الطرقات ويصرخون على بضاعتهم ويصيحون فى المارة « ظهرك » لكى يحذروهم بالابتعاد عن الطريق (٢٢٠) .

والطبقة الأخيرة هى طبقة الرقيق التى قدرها تيفيه بثلاثين الف عبد معظمهم من المسيحيين ؛ واكد أن « الرق غير قاصر على الأتراك فهو موجود ايضا فى البلاد المسيحية خاصة فى البرتغال» (٢٢١) وقد شاهد بالرن « اعدادا كبيرة من الرقيق الافريقى فى سوق خان الخليلى وذكر انه تم أسرهم من حدود أراضى القس جون » (٢٢٢) « ويقوم التاجر بتنظيفهم قبل عرضهم فى الأسواق ويترك الرجال عرايا بينما يسمح للنساء بارتداء الملابس ومن حق المشترى ان يطلب منهن الرقص والغناء والكشف عن أسنانهم وقد استخدم المصريون الرقيق للعمل فى المنازل وعاملوهم معاملة طيبة »(٢٢٣) .

هذا وفضلا عن اهتمام الرحالة الفرنسيين بالحديث عن

---

(٢١٩) Belon : Op. Cit., 99 a.

(٢٢٠) Villamont : Op. Cit., P. 186.

(٢٢١) Thevet : Op. Cit., Levant P. 14.

(٢٢٢) من اليوبيا .

(٢٢٣) Palerne : Op. Cit., P. 51.

طبقات المجتمع المصرى الا أننا نلاحظ أن البعض منهم خاصة فى القرن السادس عشر قد أولى اهتماما بجماعات الفجر فذكر تيفيه انه شاهد اعدادا كبيرة من الفجر فى القاهرة وأرجع أصولهم الى آسيا وأوروبا وأكد « ان لهم لهجات ولغات وصلات مشتركة مع غجر اليونان والبعض منهم من كروفو وكريت وقبرص(٢٢٤) وأكد بيلون أن جماعات الفجر التى شاهدها فى مصر تنتمى « لأصول من ولاشيا وملدافيا » (٢٢٥) « وهم يقرأون الطالع ويعملون بالحدادة ويعيشون على السحر والشعوذة والسرقة وهم لاينتمون للمصريين ومعظمهم مسيحيون ولكنهم تابعون للأتراك » وقد وجد تيفيه أعدادا كبيرة منهم فى القاهرة حول أسوار القلعة وعند الأهرام وأكد أن لهم حرية التجول فى المدن المصرية (٢٢٦) ، بينما وجد بيلون أعدادا كبيرة منهم فى المطرية وعلى ضفاف النيل وفى القرى المصرية (٢٢٧) وذكر تيفيه أن العرب يطلقون على الفجر لفظ « حرامى » (٢٢٨) .

ثانيا ــ الاحتفالات والأعياد :

« لا توجد أمة متمسكة بتقاليدها وتراثها مثل الأمة المصرية » هذا ما ذكره بيلون عن اهتمام المصريين للاحتفالات والأعياد (٢٢٩) ومن أهم هذه الاحتفالات :

---

(٢٢٤) Falerne : Op. Cit., Universselle P. 195.

(٢٢٥) رومانيا الحالية .

(٢٢٦) Thevet : Op. Cit., P. 185.

(٢٢٧) Belon : Op. Cit., 112 b.

(٢٢٨) Thevet : Op. Cit., P. 125.

(٢٢٩) Belon : Op. Cit., 101.

الـزواج :

ذكر بالرن ان للرجل الحق فى الزواج من اربع نساء بالاضافة الى الجـوارى ، وقد اختلط الأمـر عليـه فذكر أن الرجـل يدفع لوالد العروس مبلغا من المـال « لشرائها » واكد ان الرجال فى مصر يسيطرون على النسـاء والعبيد « كما هو الحـال فى اسبانيا والبندقية » (٢٣٠) .

وعند الاحتفال بالزواج تقوم النساء « بتلوين » تخضيب أيديهن وأرجلهن بالحناء (٢٣١) وتطلق الزغاريد . ووصف بيلون النساء اللاتى يطلقن الزغاريد طوال العرس قائلا تفتح المراة فمها الى أقصى اتساع فتنبعث اصـوات غريبـة وتحرك لسانها بين اسنانها ثم تسحبه الى الخلف فتنطلق الأصوات الغريبة » (٢٣٢) .

ومن الطرائف التى كتبت عن اعجاب الرجل بالمراة فى مصر خاصة اعجاب الأتراك ما ذكره فيلامون من انه « اذا أعجب التركى بامراة تركية فانه يبحث عن وسيلة ليراها وغالبا ما تكون على أسطح المنازل حيث يتبادلان الاشارات فاذا قامت السيدة من مجلسـها ووقفت ووضـعت يديها على جانبيهـا فهـذا دليـل موافقتها » (٢٣٣ .

السـبوع :

اكد بيلون أن النساء فى مصر يتمتعن بخصـوبة عالية فهن « يلدن ما لا يقل عن ثمانية اطفال » وأورد قصـة ذكرها المؤرخ

---

(٢٣٠) Palerne W Op. Cit., P. 77.
(٢٣١) Belon : Op. Cit., 104 a
(٢٣٢) Ibid :
(٢٣٣) Villamont · Op. Cit., P. 216.

بلينى فيها الكثير من المبالغات اكد فيها بلينى انه رأى سـيدة مصريـة وقد وضعت سبعة توائم دفعـة واحدة ومن الطرائف التى أكدها بيلون ان النساء فى مصر « يلدن فى الشهر الثامن » وعلل ذلك بسبب حرارة الطقس والرطوبة (٢٣٤) .

وبعد ولادة الطفل بأسبوع « يقام له حفل كبير » يطلقون فيه على المولود اسما ويقام الحفل على ضـوء الشموع ويتم اعداد الولائم فى هذا اليوم (٢٣٥) .

اما ختان الطفل فأحيانا يتم بعد الولادة مباشرة وفى المنازل واحيانا عندما يبلغ الطفل اثنى عشر عاما . واكد بالرن أن عملية الختان « لا تتم فى المساجد وانما فى المنازل » ثم تدق الطبول فى الشارع وتنثر الزهور ويقدم الطعام ، واذا كان الطفل من عائلة ذات شأن ونفوذ فانه يمتطى حصانا حتى المسجد وأكد بالرن بانه لو اعتنق الاسـلام شخص مسيحى فلابد وأن تجرى له نفس المراسم السابقة (٢٣٦) « فالختان واجب على الأقبـاط فى مصر » وذكر فرمنال « انه لو وقع قبطى فى يد العرب فانهم يجبرونه على الختان حتى ولو فى سن كبيرة ويقال أنهم يختمون من يمتنع عن القيام بهذه العمليـة بحديد ساخن على رقبته » (٢٣٧) ولتخفيف الألم عن الأطفال اثناء عملية الختان « يتم وضع قطعة من السكر فى افواههم لمنعهم من الصراخ » (٢٣٨) .

---

(٢٣٤) Belon : Op. Cit., 104 a.

(٢٣٥) Palerne : Op. Cti., 178.

(٢٣٦) Ibid : P. 178.

(٢٣٧) Fermanel : Op. Cit., P. 73.

(٢٣٨) Monconys : Op. Cit., P. 265.

ومن أجمل الاحتفـالات التى شهدهاالرحـالة الفرنسيون موكب المحمل حيث تسير القوافل متجهة الى « الأماكن المقدسة » من القاهرة الى الحجاز وتزين جمال القافلة بمختلف الزينـات للسفر الى الحجاز والأخطار التى تتعرض لها ومهاجمـة البدو وقد خصص بالرن فصـلا بأكمله للحديث عن اسـتعداد القافلة للقافلة ، ولذلك توفر الحراسة المسلحة للقوافل (٢٣٩) واكد تينو أن المسـافة من مصر الى الأماكن المقدسـة تستغرق حـوالى « خمسين يوما » (٢٤٠) .

ويحضر احتفال سفر القافلة الى الحجاز الباشا والقضـاة وكبار رجال الدولة ويخرج المحمل من القلعة ويضم ٥٠٠ جمل بقيادة امير الحج وعددا كبيرا من الجنود الانكشـارية والعزبان وتحمل الجمال المياه والخيام والخدم وتدق الطبول أثناء سـير المحمـل (٢٤١) وبعد عودة الحجـاج يتم تزيين منازلهم وتقـام الولائم (٢٤٢) .

ومن الاحتفالات الشيقة ختم القرآن الكريم فبعد أن يحفظ الطفل القرآن يقام له حفل كبير يلبس الطفل ملابس من الحرير وعمامة جميلة ويركب حصانا مزينا ويمر موكب الطفل فى شوارع المدينة وتدق الطبول ويسير خلف الموكب عدد كبير من الناس « لانهم يتبركون بالطفل حافظ القرآن » (٢٤٣) .

---

(٢٣٩) Palerne : Op. Cit., P. 120.
(٢٤٠) Thenaud : Op. Cit., P. 37.
(٢٤١) Coppin : Op. Cit., P. 605.
(٢٤٢) Palerne : Op. Cit., P. 120.
(٢٤٣) Coppin : Op. Cit., P. 143.

اما احتفال فتح الخليج فكان من اهم الاحتفالات وقد ارتبط بفيضان النيل ويحضره الباشا الذى يسير فى موكب مع كبار الشخصيات ويضرب الباشا بالفأس فى جدار الخليج فيتدفق الماء . وتستمر الاحتفالات سبعة أيام (٢٤٤) . وتقام الاحتفالات فى جزيرة الروضة ويسهر سكان القاهرة ويتنزهون فى المراكب النيلية وهم يشعلون المصابيح وينشدون الأغانى ويتوافد على الروضة الصناع والحواة « أصحاب جلاجلا » « ويغطس الأطفال فى النيل وهم عرايا » ويحرص المماليك على حضور الاحتفال فيحضرون فى مواكب كبيرة مزينة بالأعلام الملونة ومنهم من يقيم معسكرا على البر لاستقبال الزوار ولا تقتصر الاحتفالات على الروضة فقط وانما تقام الاحتفالات فى الأزبكية حيث تمتلىء البركة بالمياه فتسير المراكب فيها (٢٤٥) .

وقد سجل رحالة القرن السابع عشر احتفالات قدوم الباشا الجديد وجاء ما ذكروه مطابقا الى حد كبير لما ذكره الأمير احمد الدمرداش فى كتابه « الدرة المصانة » فذكر كوبان بأن « الاحتفالات تقام لاستقبال الباشا الجديد سواء أكان قادما من البر أو البحر » فاذا كان قادما من البحر أى من بلاد الشام يتم استقباله بواسطة كبار الشخصيات ويقام له معسكر كبير وتنصب الخيام الزاهية الألوان وتفرش ارضيتها بالسجاجيد الثمينة ويقيم اثرياء المماليك المآدب والولائم ويصعب فى هذا اليوم احصاء أعداد الدجاج والأغنام والأبقار التى يتم طهيها ويدخل الباشا القاهرة وقد احتشد حوله المماليك والسباهية والبكوات (٢٤٦) .

---

(٢٤٤) Palerne : Op. Cit., P. 52.

(٢٤٥) Coppin : Op. Cit., PP. 74 — 78.

(٢٤٦) Coppin : Op. Cit., PP. 93 — 95

أما احمد الدمرداش فقد اضاف بانه فى حالة قدوم الباشا برا يقام معسكر فى الخانكة فيقضى الليلة الأولى فيه ثم يذهب لزيارة الامام الشافعى ويبيت فى العادلية وفى الصباح يدخل القاهرة (٢٤٧) .

أما فى حالة قدوم الباشا بحرا « فيكون استقباله فى الاسكندرية كتخدا الجاويشية وباش جاويشية والملازمين ثم يذهب الى رشيد ليزور الأولياء الصالحين ويمكث عدة أيام ثم ينزل بواسطة السفن الى القاهرة فيصل الوراق ويبيت ليلة وفى الصباح يعد له سناجق مصر وباقى الأغوات فيهنئون بسلامة الوصول ثم يعبرون به النيل الى البر الشرقى فينزل فى قصر الحلى ببولاق » (٢٤٨) وقد قدم لنا فرمنال وصفا لموكب الباشا فى بولاق « وانه كان فى استقباله حوالى ٢٥٠٠ من الخيول المزينة وأعداد كبيرة من الجمال المزينة بالفضة أما حصان الباشا فكان فى أجمل زينة وقد أقيمت له المآدب فى بولاق » (٢٤٩) .

ولم تقتصر ملاحظات الفرنسيين على احتفالات تولية باشا جديد لمصر وانما ذكروا ايضا كيفية عزل الباشا فذكر تيفنو انه شاهد عام ١٦٥٧ عزل باشا من مصر « حضر مندوب من قبل السلطان واجتمع بالبكوات فى ديوان القلعة ثم رمى الأوراق فى ركن الديوان وكأن هذا يعنى عزل الباشا » « فأخذ المماليك يحاسبون الباشا واستردوا الأموال التى أخذها منهم » وقد خرج

---

(٢٤٧) احمد الدمرداش : المرجع السابق . تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ص ٤ .

(٢٤٨) المرجع السابق ص

(٢٤٩) Fermanel : Op. Cit., P. 95.

الباشا من مصر بصحبة المماليك وحزن القنصل الفرنسى بريمون لعزله لأنه كان صديقا له (٢٥٠) .

واكد كوبين أن العلاقــة كانت تسوء احيانا بين الباشــا والمماليك فكانوا يراسلون الســلطان ويبعثون اليه بمندوب عنهم « ويقدمون الرشاوى للوزراء فى استانبول » لاقناع الســلطان بتعيين باشا جديد (٢٥١) .

ومن الاحتفالات التى انفرد ثيفينو بذكرها احتفال ســفر الخزنة الى الآستانة ففى يوم الاحتفال ينزل الباشا من القلعــة ويرسل ١٥٠،٠٠٠ قرش سنويا الى السلطان ويرافقه الصناجقة يسيرون على دقات الطبول — ثم يسير خلفهم اعضــاء الديوان ثم الضباط — « ويحمل أموال الخزنة ثلاثون بغلا يسيرون وحولهم الانكشارية المسلمون ويبلغ عددهم حوالى الفين ويرتدى ريسهم قفطانا جميلا يهديه اليه الباشا ويركب حصانا مزينا بالأعــلام الكثيرة ويسير الركب فى نظام تام على دقات الطبول » (٢٥٢) .

وجدير بالذكر أن القناصــل الفرنسيين قد شــاركوا فى احتفالات المصريين فعندما استولى مراد خان على بغداد واقيمت الزينات والاحتفالات فى شــوارع القــاهرة وفرشت بالسجاجيد « حرص القناصل الفرنسيون على تزيين واجهات منازلهم وفرشوا الشوارع أيضا بالسجاجيد الفاخرة » (٢٥٣) . كذلك شــاركوا فى احتفالات استقبال الباشا الجديد فكان القنصل « يسرع بزيارته

---

(٢٥٠) Thevenot : Op. Cit., P. 467.

(٢٥١) Coppin : Op. Cit., P. 164.

(٢٥٢) Thevenot : Op. Cit., PP. 162 --- 163.

(٢٥٣) Coppin : Op. Cit., P. 197.

ويقدم له الهدايا » ، كذلك كان القناصـــل الفرنسيون يحتفلون باعيـاد فرنسا مثل مولد لويس الرابـع عشر وذكر كوبلن أن « القنصل الفرنسي بريمون كان يقدم الهدايا للباشا والصناجق فى مثل هذه المناسبات ويحرص على اقامة المـآدب » (٢٥٤) .

اما الأعياد التى احتفل بها المصريون فهى عيد الفطر وعيد الأضحى وذكر بالرن أن المصريين « يحرصـــون فى رمضـــان على توزيـع اللحـم على الفقراء ويسمحون لأطفـالهم بالخـروج والزيارة » (٢٥٥) وفى ليلة القدر تقـام الاحتفالات فى شـوارع القاهرة « ويتم انارة الفوانيس فى المساجد والحوانيت » وقـد حرص الفرنسيون على رؤية الاحتفال بليلة القدر لمـا فيها من مباهج فكانوا يحرصون على استئجار غرفـة فى شـارع رئيسى ليتمكنوا من مشاهدة هذا الاحتفال (٢٥٦) .

واكد فيلامون ان المصريين يحرصون فى أعيادهم واحتفالاتهم على تقديم الطعام « ولديهم عادة جميلة اذ يجلسون على الأرض ويأكلون . وطعامهم مطبوخ بالسمن أو الزيت وهم مغرمون بالفواكة ويأكلون بعد انتهاء الطعام الشمام والبطيخ » لديهم تقليد جميل « فعندما ينظر اليهم أحد عند الأكل لابد وأن يعطوه من طعامهم » وهم يأكلون كل أنواع الطعام ما عدا الخنزير لأنه محرم ويشربون العصائر الا النبيذ فهو محرم ايضـا والمصريون اكثر كرما من الأتراك الذين يتصفون « بالبخل الشديد » (٢٥٧) .

---

(٢٥٤) Coppin : Op. Cit., P. 195.

(٢٥٥) Palerne : Op. Cit., P. 80.

(٢٥٦) Thvenot : Op. Cit., P. 463.

(٢٥٧) Villamont · Op. Cit., P. 225.

ولم يكتف الرحـالة الفرنسيون بذكر أعيـاد واحتفـالات المسلمين فقط بل تعرضوا لبعض المناسبات السعيدة لدى أقباط مصر مثل الزواج والمناولة .

وقدم مونكوني وصفا لاحتفـال الأقبـاط بالزفـاف فذكر « أن العروس سارت فى شـوارع القاهرة ترتدى فستانا من ساتان دمشقى ابيض وغطت راسها بقماش أبيض حولها اربع من النساء يلعبن الموسيقى يدقون الطبل وامتطت العروس حمارا مزينـا وقد التف حولها الأطفال واشعلوا الشموع ثم اقترب القس منهـا وتمتم بكلمات غريبة معلنا الزفاف » (٢٥٨) .

كذلك سجل مونكونى المناولة فى أحد كنائس الأقباط فذكر « أن القس وضـع خبزا ونبيذا فى طبق ثم قام بالدوران ثلاث مرات ومعه الخبز والنبيذ وصليب خشبى يرفعه الى السـماء ثم شرب النبيذ ووضـع الخبز والنبيذ فى فم الأطفال ثم وزعه على الحـاضرين » (٢٥٩) .

هذا ولم يقتصر وصف الرحالة على احتفالات المصريين من زواج وختان الخ وانما وصفوا أيضـا اجراءات الدفن فذكر بالرن انه عند وفاة شخص « كانت النساء تطلق صرخات عالية واصوات غريبة » ويتم وضـع الميت فى منتصف الغرفـة وتقوم سيدتان او ثلاث بالبكاء والنحيب طوال اليوم ويضربن وجوههن » بطريقة غريبة » (٢٦٠) ويسدلن شعورهن ثم يقرأ القرآن وتغسل الجثـة ويتم الصـلاة على الميت فى المسـجد ثم يدفن (٢٦١) فى « عـلم

---

(٢٥٨) Monconys · Op. Cit., P. 135

(٢٥٩) Ibid : P. 135.

(٢٦٠) المقصود هنا الندابات .

(٢٦١) Palerne : Op. Cit. P. 83.

أبيض » (٢٦٢) وتسير النساء خلفه وعلى وجوههن نقابهن الأسود (٢٦٣) ويسمح للنساء بزيارة المدافن ويحملن معهن الياسمين والأزهار والمياه المعطرة (٢٦٤) .

وقد ذكر تيفنو رأيا غريبا اذ يقول « ان المصريين يعتقدون ان ارواح الموتى تخرج من القبور يوم الأربعاء والخميس والجمعة وتتجول عظامهم فى المقابر . ومن الغريب ان المسيحيين ايضا يعتقدون ذلك وكذلك بعض التجار اليونانين فى مصر القديمة (٢٦٥) .

والى جانب مواكب الاحتفالات والأعياد وصف الرحالة الفرنسيون مواكب التشهير بالمجرمين فيتم وضع « المجرم على الجمل ويطوف به شوارع المدينة » — ومن العقوبات المفروضة على المجرمين الضرب بالفلكة « فيتم تقييد أرجل المذنب بالسلاسل ثم يضرب على الأقدام واذا كان جرمه خطيرا فانه يضرب على ظهره وبطنه » ، « ولابد من اكمال عدد الضربات » . أما عقوبة الاعدام فتكون للشخصيات العظيمة اما المصريون فيتم اعدامهم « على الخازوق » وقد ذكر كوبان ان رجلا ظل يحتضر على الخازوق لمدة يومين . والمحكوم عليه بالاعدام يظل يضرب بالعصى حتى يصل الى ساحة الاعدام (٢٦٦) .

وقد شاهد مونكونى اعدام اثنين من الصناجق تمردا على الباشا واعتصما فى مسجد السلطان حسن فالقى القبض عليهما واعدما (٢٧٦) .

---

(٢٦٢) الاكفان .

(٢٦٣) Monconys : Op. Cit., P. 32.

(٢٦٤) Thenaud : Op. Cit., P. 51.

(٢٦٥) Thevenot : Op. Cit. P. 455.

(٢٦٦) Coppin : Op. Cit., P. 129.

(٢٦٧) Monconys : Op. Cit., P. 145.

ثالثا ـ المنشآت الاجتماعية :

اهتم الفرنسيون بوصف المساجد وذكر تينو أن « المماليك كانوا احرص من الأتراك على بناء المساجد » فكل مملوك يتولى الحكم لابد وان يعمل على بناء مسجد يحمل اسمه (٢٦٨) وذكر بيلون ان المساجد فى مصر تتكون من عدة طبقات يحرص المصريون على تجميلها ونظافتها (٢٦٩) ويعتبر مسجدى الغورى والسلطان حسن من اكبر واشهر مساجد مصر (٢٧٠) .

وتعجب تيفيه من عدم وجود « أجراس » فى المساجد للتنبيه على الصلاة واكد نفوره من الآذان « يصعد القسيس المسلم الذى يلقب اماما الى أعلى المسجد ويطلق صرخات حادة لكى يتجمع المصلون فى المسجد » وقد خلط تيفيه بين الاسلام والمسيحيين الشرقيين وقد امتازت ملاحظاته بالتعصب الشديد ضد الديانة الاسلامية فقد اطلق على المساجد فى مصر « معابد الشياطين »(٢٧١) لكن رغم ملاحظاته القاسية والحادة الا انه أبدى اعجابه بجمال المساجد وعماراتها وأكد التزام المصلين « بغسل أجزاء من ابدانهم خمس مرات قبل دخول المسجد » (٢٧٢) .

الأســـواق :

امتازت القاهرة بتعدد أسـواقها وتنوع منتجاتهـا وذلك لأن لمصر صـــلاتها التجارية مع آسيا وافريقيا (٢٧٣) وقد تركزت

---

(٢٦٨) Thenaud : Op. Cit., P. 51.

(٢٦٩) Belon : Op. Cit., P. 136 a.

(٢٧٠) Chesnau : Op. Cit., P. 18.

(٢٧١) Thevet : Op. Cit., Levant P. 21.

(٢٧٢) Ibid : P. 21.

(٢٧٣) Ibid : P. 14.

العمليات التجارية فى « أسواق الغورية وخان الخليلى » وامتازت بعض الأسواق ببيع سلع معينة مثل سوق الغورية الذى خصص لبيع السجاجيد التركية والفارسية ومنتجات الهند وقد حرص التجار على تغطية الأسواق والمحلات بسبب حرارة الجو خاصة فى فصل الصيف (٢٧٤) .

أما الحمامات فقد عنى الرحالة بوصفها ، فذكروا انها كانت من الرخام يتوسط الحمام نافورة وتمتاز أرضية الحمامات بالجمال وهى مغطاة بالسجاجيد وتوجد « موائد » من الرخام يستلقى عليها المستحم للتدليك « والحمامات مزودة بالماء البارد والساخن » ويقصد الحمامات المغاربة والأتراك والمصريون ويسمح للنساء بالذهاب الى الحمامات المخصصة لهن واكد بالرن بأن النساء يتخذن من الذهاب الى الحمامات « ذريعة للخروج »(٢٧٥) . وخصصت الحمامات فى الصباح للرجال وفى المساء للنساء ولابد من حضور العروس الحمام يوم زفافها (٢٧٦) .

واخيرا عند ختام الحديث عما ذكره الرحالة عن الحياة الاجتماعية فى مصر نجد أنهم اهتموا بوصف ملابس المصريين خاصة النساء وذكروا ان ملابسهن من القماش الرقيق من القطن او التفتاه وانهن يرتدين الأحذية الملونة ولابد لهن من وضع نقاب على الوجه عند الخروج (٢٧٧) علل بيلون ذلك بأنه على « حسب شريعة محمد » « والنساء لا يخرجن سافرات ابدا ولكن

---

(٢٧٤) Palerne : Op. Cit., P. 42.

(٢٧٥) Palerne : Op. Cit., P. 92.

(٢٧٦) Coppin : Op. Cit., P. 139.

(٢٧٧) Villamont : Op. Cit., P. 218.

ذلك ليس لجمالهن لأن الأثيوبيات أيضا ذوات البشرة السوداء يلبسن النقاب مثل نساء الأتراك » (٢٧٨) .

والحقيقة أن وصف حسن الوزان لملابس النساء ادق « يظهر البذخ على لباس النساء فهن يخرجن متبرجات بالحلى التى يلبسنها على شكل اطواق على الجبين ويضعن عصابة غالية الثمن فوق رءوسهن وتتألف كسوتهن من ثوب من جوخ ذى اكمام طويلة ويلففن أجسادهن بوشاح من القطن المستورد من الهند ويضعن على وجوههن برقعا صغيرا أسود اللون واغرب ما ذكره حسن الوزان عن نساء القاهرة هو انها « لا تقبل أن تغزل أو تخيط ثوبا أو تطهو الطعام والقليل يصنعن الطعام فى بيوتهن باستثناء العائلات الكبيرة ، وتتمتع هذه النسوة بحرية كبيرة وبالكثير من الاستقلال وعندما يذهب الزوج الى دكانه تلبس الزوجة وتتعطر وتستأجر حمارا لزيارة أهلها » (٢٧٩) .

هذا ويلاحظ مما سبق اهتمام الرحالة بالحديث عن المساجد والأسواق والحمامات وغيرها من المنشآت الاجتماعية ولا تلمس حرصهم أو اهتمامهم بالحديث عن المؤسسات الثقافية أو دور العلم فى مصر باستثناء فرمنال الذى تحدث عن الجامع الأزهر وأبدى اعجابه به كمؤسسة تعليمية ودينية هامة .

---

(٢٧٨) Belon : Op. Cit., 104. a.

(٢٧٩) ليو الافريقى : المرجع السابق ص ٥٩١ .

الفصـل الرابـع

المدن المصريـة وثرواتها

قدم الرحالة الفرنسيون وصفا لمدن مصر وقراها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر وقد حدد فرمنال موقع مصر فذكر أن البحر المتوسط يقع فى شمالها ومن الجنوب « اثيوبيا » ومن الشرق الصحراء العربيـة ، ومن الغرب صحراء افريقيـا « ومصر من أجمل البلاد واكثرها رخاء وثروة » (٢٨٠) .

ومدينـة القاهرة هى العاصـمة وقد اطلق عليها رحـالة العصور الوسطى من الأوروبيين « القاهرة الكبرى » وذلك بحكم التقاء الطرق التجارية فيها (٢٨١) .

وتعتبر مدينة « القاهرة الكبرى » من أهم المدن التى حرص الرحالة على تقديم مشاهدتهم وملاحظاتهم عنها، وقد اجمعوا على أن حجمها فاق حجم باريس فذكر جريفان « انها أكبر من باريس ثلاث مرات (٢٨٢) بينما وصفها تينو « بأنها أكبر من باريس خمس مرات (٢٨٣) وأكد بالرن « انها من أكبر مدن افريقيا » (٢٨٤) . وجاء وصف رحالة القرن السادس عشر مطابقا لما ذكره حسن

---

(٢٨٠) Fermanel : Op. Cit., P. 21.

(٢٨١) جاستون فييت : القاهرة مدينـة الفن والتجارة ترجمة مصطفى العبادى . القاهرة ١٩٩٠ م ص ٧٣ .

(٢٨٢) Clément : Op. Cit., P. 5.

(٢٨٣) Thenaud : Op. Cit., P. 46.

(٢٨٤) Palerne : Op. Cit., PP. 42 — 45.

الوزان « بانها القاهرة الكبرى الباهرة ، أكبر مدن العالم ، وأكثرها رونقا وبهاء » (٢٨٥) .

واكد رحالة القرن السابع عشر كبر حجم القـاهرة فذكر تيفنو « القاهرة أكبر من باريس » (٢٨٦) ووصفها كوبان بانهـا « أكبر من باريس ثلاث مرات » (٢٨٧) .

وقد بنيت القاهرة اسفل جبل المقطم ولذلك فقد راى تيفنو « أن موقعها سيء » وأن مصر القديمة « كانت افضـل لأنهـا قريبة من النيل » (٢٨٨) بينمـا اكد كوبان أن « موقع القـاهرة افضل من مصر القديمة » (٢٨٩) .

وقد شـيد القاهرة جوهر الصقلي وهى محاطة باسـوار كبيرة بها العديد من الأبواب عددها فيلامون فمنها بـاب النصر ويقـع نحو الشرق ، وبـاب زويلة فى اتجـاه النيـل ، وبـاب الفتوح (٢٩٠) .

ولمـا كان كوبان مهتما بارسال الحملات الصليبية ضد الدولة العثمانية والشرق فانه قد حرص على ذكر مدى الاستحكامات فى مدينة القاهرة فذكر « ان اسوارها قد تبدو قوية ، بها العديد من الأبواب ، ولكنها فى الحقيقة ضعيفة التحصين » (٢٩١) وصحح

(٢٨٥) ليو الافريقى : المرجع السابق ص ٥٧٩ .

(٢٨٦) Thevenot : Op. Cit., P. 404.

(٢٨٧) Coppin : Op. Cit., P. 57.

(٢٨٨) Thevenot : Op. Cit., P. 405.

(٢٨٩) Coppin : Op. Cit., P. 56.

(٢٩٠) Villamont : Op. Cit., P. 186.

(٢٩١) Coppin : Op. Cit., P.61.

بعض الأخطاء التى وردت فى كتابات بعض الأوروبيين بأن القــاهرة هى بابل القديمة فذكر أن الأخيرة فى العراق (٢٩٢) .

وتعتبر القلعة هى « مركز الحكم فى القاهرة » وقد شيدت على صخور صلبة ، وكانت تعتبر « مدينة ملكية مخصصة للسلطان وأسرته فى عهد المماليك » ، وعندما دخل ســليم مصر أصبحت القلعة مقرا للباشا العثمــانى وموظفيه (٢٩٣) وقد شــبه بيلون القلعة بقصر سانت بيير فى روما (٢٩٤) . وعندما زار الفرنسيون القلعة أبدوا اعجــابهم الشديد بها « فمبانيها مزينــة بالرخــام وأبوابها بها العديد من التذهيبات وبها العديد من النوافذ المزخرفة والتى تطل على القاهرة وفناء القلعة عظيم الاتساع به ســلالم صغيرة تسمح بصعود الدواب اليه (٢٩٥) وقد حرص الباشا على اقتناء الحيوانات الجميلة فى القلعة بحيث اننا لا نجد رحالة من رحالة القرن السادس عشر الا وذكر هــذه الحيوانات خاصــة الزرافة التى شاهدوها فى فناء القلعة وتعجبوا من لونها وجلدها الغريب الذى يشبه جلد الثعبان فخصص بيلون فصــلا بأكمله عنها (٢٩٦) ويمتاز قصر السلطان بالاتساع الكبير حتى « ان مساحته تقترب من مساحة مدينة أورليان فى فرنسا » .

ويوجد فى القلعة عدد من السجون بعضها تشبه البئر يكثر فيه الوطاويط والروائح الكريهــة ويسود فيه الظلام التام وهناك

---

(٢٩٢) Thevet : Op. Cit., Universelle PP. 171 --- 174.

(٢٩٣) Thenaud : Op. Cit., P. 41.

(٢٩٤) Belon : Op. Cti., 109 a.

(٢٩٥) Ibid : P. 108 b.

(٢٩٦) Ibid : P. 109 b.

(٢٩٧) Thenaud : Op. Cit., PP. 46 --- 47.

سـجن يقال ان « النبى يوسف حبس فيـه » (٢٩٨) . وتوجـد اسطبلات الخيل فى القلعة وهى خاصة بالباشا وهى مزينة بأجمل زينـة (٢٩٩) .

وفى ميـدان الرمليـة كان الفرسـان يقومون بتدريبـاتهم العسكرية (٣٠٠) وفى يوم الجمعة يقدمون العابهم للتسلية ويرقصون فى فناء القلعة (٣٠١) .

وتصل المياه الى القلعة بواسطة قناة تمتد من النيل حتى القلعة وقد اقيمت العديد من السـواقى لرفع المـاء الى المستوى المطلوب (٣٠٢) وهى المعروفة بمجرى العيون .

وقد سرد الرحالة الفرنسيون بعض القصص عن بئر يوسف فذكروا انه يحوى نفقين احدهمـا يؤدى الى السـويس (٣٠٣) والثانى الى الهرم ويمنع المسيحيون من الاقتراب منه خوفـا من دس السم فيه (٣٠٤) وعلى البئر كتابات باللغة العربية ، وتستخدم بقرتان لتديرا الساقية لرفع المياه (٣٠٥) .

اما شوارع القـاهرة فهى مستقيمة وطويلة عنى السـكان بتشجيرها لكى ينعموا بالظل ويحتموا من شمس الصيف الحارقة

---

(٢٩٨) Thevenot : Op. Cit., P. 449.

(٢٩٩) Thevenot : Op. Cit., P. 450.

(٣٠٠) Monconys : Op. Cit., P. 143.

(٣٠١) Fermanel : Op. Cit., P. 46.

(٣٠٢) Chesnau : Op. Cit., P. 20.

(٣٠٣) Thevenot : Op. Cit., P. 449.

(٣٠٤) Coppin : Op. Cit., P. 67.

(٣٠٥) Monconys : Op. Cit., P. 125.

ولذلك زرعوا فيها اعدادا كبيرة من اشجار الكافور (٣٠٦) ولكن « تفتقر هذه الشوارع الى الهدوء » فالباعة لا يكفون عن الصراخ للاعلان عن بضاعتهم ولذلك فرغم جمال القاهرة الا « انها مدينة مزعجة للغاية » على حد وصف تينو لها (٣٠٧) وعند مدخل كل شارع يوجد باب خشبى يغلق على سكانه ليلا (٣٠٨) .

وقد لفتت منازل مدينة القاهرة انظار الرحالة باتساعها وجمال حدائقها الداخلية المزروعة بأجود أنواع الثمار والأشجار وأبدوا اعجابهم باهتمام المصريين بتزيين منازلهم « فحتى الأبواب والنوافذ مزينة بالأصداف والعاج ، ومنازل اثرياء القاهرة لاتقل روعة وجمالا عن اثرياء أوروبا (٣٠٩) وهى متعددة الطوابق والبعض منهم بنى على طراز منازل البندقية . ويعاب على المصريين عدم اهتمامهم بتزيين منازلهم من الخارج (٣١٠) ولذلك فهى قبيحة من الخارج جميلة من الداخل » (٣١١) ومنازل البكوات جميلة ، واسعة بها فناء كبير واصطبلات تستوعب أربعين أو خمسين حصانا ، وحجراتها واسعة مزينة يوجد مدخل للمنزل ثم حجرة (٣١٢) تترك فيها الأحذية وحجرة لاستقبال الأتراك وأخرى لاستقبال المسيحيين وباب المنزل الخارجى « قصير لابد للمرء أن يخفض راسه عند الدخول » (٣١٣) وغرف الاستقبال « أرضيتها

---

(٣٠٦) Belon : Op. Cit., 108 b.
(٣٠٧) Thenaud : Op. Cit., P. 46.
(٣٠٨) Coppin : Op. Cit., P. 57.
(٣٠٩) Belon : Op. Cit., 107 a.
(٣١٠) Palerne : Op. Cit., PP. 42 --- 45.
(٣١١) Monconys : Op. Cit., P. 34.
(٣١٢) Coppin : Op. Cit., P. 85.
(٣١٣) Belon : Op Cit., P. 85.

من الرخــام » وجدران المنزل أيضا مغطــاه بالرخــام مع بعض التذهيبات ، ويوجد فى منازل الأثرياء « نافورة » يخرج منهــا المــاء تزرع حولها اشجار الفواكه المختلفــة ، والفناء الداخلى سقفه مفتوح لدخول الهواء والضوء (٣١٤) ولمــا كان سكان القاهرة يعتمدون على النيل فى الشرب فان المياه تصــل الى المنازل بواسطة السقائين (٣١٥) .

وتمتاز القاهرة بكثرة محلاتها التى تفوق فى اعدادها محــلات روما وباريس « وان كانت محلات القاهرة اصغر حجما » (٣١٦) الا انه يوجد بها انواع مختلفة من البضــائع مثل « المسك والعطور ومسك الزباد والبلسم والعقاقير المجلوبة من اليمن ــ بالاضــافة الى العديد من المحلات التى تخصصت فى بيع الطعام » (٣١٧) .

ويوجد فى مدينة القاهرة جنسيات مختلفة ومن التجــار عرب وبربر ، مغاربة ، يهود ، اثيوبيين ، ارمن ، نساطرة (٣١٨) ولكن اهتمــام الرحالة الفرنسيين كان بالجالية الفرنسية وقــد افاض كوبان فى الحديث عنها فذكر انه كان يوجد فى القــاهرة خان مخصص لسكنى الفرنسيين وقدر كوبان عدد أفرادها عام ١٦٣٨ بحوالى ثلاثة وثلاثين تاجرا يسكنون حيا قريبا من الخليج . ومنزل القنصــل من اجمــل المنــازل فى هــذا الحى فحوائطه مزينــة بالسجاجيد الفاخرة عليها رسومات تمثل لويس الثالث عشر ، وللمنزل فناء كبير واسع وهو متعدد الحجرات فتوجد حجرة

---

(٣١٤) Chesnau : Op. Cit., P. 20.

(٣١٥) Palerne : Op. Cit., P. 42.

(٣١٦) Fermanel : Op. Cit., P. 50.

(٣١٧) Villamont : Op. Cit., P. 192.

(٣١٨)

لاستقبال الفرنسيين وهى مزودة بمائدة وكراسى ومفروشة بالسجاجيد الفاخرة وتوجد غرفة اخرى مخصصة لاستقبال الاتراك وهى مفروشة بالسجاجيد فقط ، وارضية المنزل مغطاه بالأحجار البيضاء الجميلة ، وذكر كوبان ان القنصل الفرنسى بريمون كان حريصا على تزيين جدران منزله بالحيوانات المحنطة كالتماسيح المحشوة بالتبن وبعض الحيوانات الأخرى التى تم صيدها من البحر الأحمر (٣١٩) .

ويوجد مبنى فى الخان ملحق به كنيسة واماكن لاستقبال أعضاء البعثات الكابوسينية (٣٢٠) .

هذا ولم تحو الجالية الفرنسية التجار وأعضاء البعثات الكابوسينية فقط وانما ذكر كوبان وجود طبيب فرنسى جراح يدعى برتيه Bertier كان يعمل فى خدمة الباشا فى مصر وأن زوجته أصبحت « ترتدى ملابس الأتراك وتلون أيديها وأظافرها » (٣٢١) .

وتعتبر بولاق مرسى القاهرة وبوابتها فلابد من المرور عليها قبل دخول مدينة القاهرة لدفع الضريبة على البضائع (٣٢٢) ويعمل فى بولاق عدد كبير من الصناع وتجار الحبوب وبها منازل جميلة وعدد من المساجد والمدارس وترسو فى بولاق أنواع مختلفة من السفن تحمل البضائع الى القاهرة ومن هذه السفن « الجرمة » وهى سفن عريضة تشبه سفن نهر السين (٣٢٣) . ويرد

---

(٣١٩) Coppin : Op. Cit., P. 52.

(٣٢٠) Ibid : P. 52.

(٣٢١) Ibid : P. 55.

(٣٢٢) Villamont : Op. Cit., P. 184.

(٣٢٣) Belon : Op. Cit., 104 a.

على بولاق مختلف البضائع الهندية (٣٢٤) . وهى ميناء جميل على النيــل يتولى ادارته بعض اليهود ويفرض قرش على كــل رأس للمرور منه (٣٢٥) وفى بولاق بركة جميلة حولها منازل ومساجـد مزينة بأجمل زينة ولكن « منزل الخليفة من اجمل المنازل ليس فى بولاق فحسب وانما فى القاهرة كلها » (٣٢٦) .

اما الروضة فهى منطقة صغيرة قليلة السكان ترجع اهميتها لوجود مقياس النيل بها وهو عمود مدرج يوضح مدى ارتفاع مياه النيل ويوجد موظفون مهمتهم مراقبــة ارتفاع النيل ويقام احتفال كبير فى كل عام بمناســبة فتح الخليج وتنتعش منطقة الروضــة خلال هذه الفترة فيفد عليها الباشا وكبار الشخصيات (٣٢٧) وقد اتفق ما ذكره الرحالة الفرنسيون مع ما ذكره ليو الافريقى « فعلى حافة النهر يوجد بناء صغير منعزل ومغلق وقد اقيمت فى وسطه حفرة مربعة مغطاه عمقها سبعة عشر ذراعا وعلى واجهــة هذه الحفرة تنفتح قناة باطنية تتصــل بمجرى النيل وفى وسط الحفرة عمود مقسم الى عدد متساو من الأذرع بعمق الحفرة وعندما يأخذ النيل فى الزيادة يدخل المـاء فى القناة ويصل الى الحفرة ويصعد يوميا بمقدار نصف ذراع (٣٢٨) .

ولمــا كان مونكونى عالمــا فيزيائيا فقد اهتم بزيارة منطقة الروضة وملاحظة ارتفاع المياه فيها وسجل ملاحظاته وأرســلها الى زملائه العلماء فى باريس (٣٢٩) .

---

(٣٢٤) Coppin : Op. Cit., P. 41.
(٣٢٥) Thevenot : Op. Cit., P. 399.
(٣٢٦) Coppin : Op. Cit., P. 81.
(٣٢٧) Belon : Op. Cit., P. 110 b.
(٣٢٨) ليو الافريقى : المرجع السابق ، ص ٥٨٨ .
(٣٢٩) Monconys : Op. Cit., P. 55.

وبالاضافة الى ما سبق أهتم الرحالة الفرنسيون بزيارة الأزبكية وقد اعتبروها « من أجمل مناطق القاهرة ومنازلها من افخم المنازل » (٣٣٠) « وهى منطقة منخفضة عن القاهرة . تنتشر فيها الأشجار الجميلة ، وبها شوارع جميلة ، مساجدها مزينة (٣٣١) . وعندما تمتلىء بركتها بالمياه يركب السكان المراكب ويتنزهون فيها » (٣٣٢) . وقد ذكر ليو الافريقى ان سكان القاهرة يجتمعون فى ساحة الأزبكية بعد الصلاة ــ حيث يجتمع فيها المشعوذون الذين يقومون بترقيص الجمال والحمير والكلاب كذلك يجتمع فيها المتبارزون بالسيف والترس والعصا وغيرها من وسائل التسلية « وتوجد فى هذه الضاحية الملاهى غير الشريفة ، كالمواخير والنساء الساقطات » (٣٣٣) .

وكانت المزارات المسيحية من أهم المناطق التى لفتت انتباه رحالة القرنين السادس عشر والسابع عشر فمعظمهم تقريبا قام بزيارة مصر القديمة والمطرية .

ففى مصر القديمة كنيسة ابى سرجة التى قدم شسنو وصفا تفصيليا عنها (٣٣٤) وذكر بيلون أن بها العديد من الكنائس وبها العديد من الأرمن واليونانيين والمسيحيين (٣٣٥) وترجع أهميتها ان السيدة مريم العذراء فرت من بطش هيرودوس ولجأت الى مصر واقامت فترة فى مصر القديمة ولذلك فانه أغلب سكانها من

---

(٣٣٠) Villamont : Op. Cit., P. 188.

(٣٣١) Fermanel : Op. Cit., P. 53.

(٣٣٢) Monconys : Op. Cit., P. 34.

(٣٣٣) ليو الافريقى : المرجع السابق . ص ٥٨٣ .

(٣٣٤) Chesnau : Op. Cit., P. 20.

(٣٣٥) Belon : Op. Cit., P. 110 b.

الأقباط كما ذكر مونكوني (٣٣٦) ويوجد بها بعض الأديرة منهـا دير مار مرقص الذى يقصـده المجانين للشفاء . وبها أيضـا مدافن الفرنسيين (٣٣٧) .

والمنطقة الواقعة بين القاهرة ومصر القديمة بها اعداد كبيرة من المزارع الجميلة ويوجد بها صـوامع يقال ان النبى يوسف حفظ فيها قمح مصر (٣٣٨) .

كذلك قصد الفرنسيون المطرية ففيهـا بستان مريم حيث لجأت العائلة المقدسة (٣٣٩) وفيه بئر تفجرت بالمياه تحت أقدام العذراء فشربت منه وقد بنى حول البئر نافورة يستخرج منها المـاء بواسطة اناء من المرمر ، أما شجرة مريم فهى مورقـة دائمة الخضرة (٣٤٠) وهى تنتج بلسما وذكر ليو الافريقى أن أوراقهـا تشبه أوراق الكرمة (٣٤١) وفى الحديقـة توجد نافذة صغيرة ذكر شسنو أن مريم تركت عليها المسيح وهو طفل صغير ريثما تنتهى من غسل ملابسه وقد اطلق عليه « شباك مريم » (٣٤٢) وتمتـاز الحديقة بوجود العديد من الأشجار مثل التين والرمان والجميز ويقصد الحديقة التجار والرحالة الأجانب وهى محاطة بسـور كبير (٣٤٣) . وتوجد شجرة تين كبيرة فى الحديقة يزعم فرمنال أن

---

(٣٣٦) Monconys : Op. Cit., P. 55.

(٣٣٧) Thevenot : Op. Cit., P. 442.

(٣٣٨) Fermanel : Op. Cit., P. 69.

(٣٣٩) Belon : Op. Cit., P. 110 b.

(٣٤٠) Vilamont : Op. Cit., P. 204.

(٣٤١) ليو الافريقى : ص ٥٨٦ .

(٣٤٢) Chesnau : Op. Cit., P. 20.

(٣٤٣) Belon : Op. Cit., P. 110 b.

العذراء أختبأت فى جذعهـا عندما كان جنود هيرودوس يطاردونها (٢٤٤) .

هذا وقد لفتت الآثار الفرعونية القديمة انتباه الرحالة خاصة فى الجيزة فحرص معظمهم على زيارتها رغم ان منطقـة الاهرامات « غير مأهولة بالسكان » ولا يوجد بها سوى الرمال (٢٤٥) ولكن الأهرام « من اجمل عجائب الدنيا السبع » وهى مقامة فى صحراء مصر « بعيدة عن النيل » وقد استخدمت « كمدافن لملوك مصر العظماء » (٢٤٦) .

والهرم الأكبر هرم خوفو كتلة كبيرة ضخمة من الأحجـار بنى فوق ارض صلبة وهو أجمل بكثير مما وصفه الكتاب الاغريق ، وقد حرص بيلون على صعود قمته لرؤية النيل والصحراء (٢٤٧) وقد وجد فرمنال صعوبة كبيرة فى صعود الهرم ولكنـه اكد ان النزول أصعب واشق ، وقد راى فرمنال من قمة الهرم « اجمل مناظر العالم حيث تحيط الخضرة بالقاهرة من كل جانب »(٢٤٨).

وذكر فيلامون قصة طريفة سمعها اثنـاء زيارته لمصر فقد اراد الباشا البحث عن الذهب داخل الهرم فأحضر شخصـا محكوما عليه بالاعدام وامره بالنزول فى بئر الهرم لعله يجد الكنز او يموت ، ولكن الرجل وجد سردابا فى البئر سار فيه حتى راى

---

(٢٤٤) Fermanel : Op. Cit., P. 93.
(٢٤٥) Thenaud : Op. Cit., P. 607.
(٢٤٦) Fermanel : Op. Cit., P. 73.
(٢٤٧) Belon : Op. Cit., 116 a.
(٢٤٨) Fermanel : Op. cit., P. 61.

ضوءا فى نهايته فاتجه نحوه ونجح فى الخروج وأسرع الى الباشا يخبره بخروجه حيا ولكنه لم يعثر على الكنز المنشود (٣٤٩) .

وقد حرص بيلون على دخول الهرم الأكبر ووصف المصاعب التى صادفها وانه اضطر لحمل شمعة فى يده ، وان يزحف على بطنه فى بعض المناطق داخل الهرم حتى تمكن من دخول غرفة مربعة طولها ستة اقدام وعرضها اربعة اقدام حيث وجد تابوتا من المرمر الأسود طوله اثنا عشر قدما وبداخله مومياء الملك (٣٥٠) . وقد حدث لدى فرمنال خلط بين خوفو وبين فرعون موسى فأكد رواية غير صحيحة تاريخيا وهى ان خوفو لم يدفن فى هرمه وانما غرق فى البحر الأحمر وهو يطـارد الاسرائيليين واكد ان خوفو هو فرعـون موسى ، وان أحجـار الهرم من الممكن ان تبنى مدينـة بأكملها (٣٥١) كذلك حرص مونكونى العالم الفيزيائى على دخول الهرم وقدم وصفا تفصيليا عن طوله وعن حجارته ولكنـه لم يجد الزيارة ميسرة فداخل الهرم وجد العديد من الخفافيش (٣٥٢) أما تيفيه فعند كتابتـه عن الأهرام نقل العديد من مصطـلحات هيرودوت ولكنه حرص على تصحيح خطـأ وقع فيه البعض » ان من يتسلق قمة الهرم يستطيع رؤية فنار الاسكندرية فصحح ذلك واعتبرها مبالغة (٣٥٣) .

اما أبو الهول فقد اثار اعجاب تيفيه بدرجة كبيرة حتى انه ذكر انه « لا مجـال للمقارنة بين ابى الهول والأهرام » ووصفه

---

(٣٤٩) Villamont : Op. Cit., P. 195.

(٣٥٠) Belon : Op. Cit., P. 114 B

(٣٥١) Fermanel : Op. Cit., PP. 78 --- 80.

(٣٥٢) Monconys : Op. Cit., P. 68.

(٣٥٣) Thevet : Op. Cit., Universeelle P. 191.

بأن له جسد كلب على حد تعبيره وهو ابن ايزيس وكانت تقدم له القرابين ، وان العرب يخشون الاقتراب منه ولا يجرءون على هدمه خوفا من ان تصيبهم اللعنة او ان يصابوا بمكروه ، وأكد تيفيه هذا الاعتقاد الشائع ودال على ذلك بحادثة تعرض لها أحد الفرنسيين الذى سخر من أبى الهول وقام بتسلق التمثال وظل يسخر منه ثم ركب حصانه فوقع منه على الفور ودق عنقه (٣٥٤).

اما بيلون فقد وصف ابى الهول بانه « اجمل بناء رآه من الحجارة » والتمثال ينظر الى القاهرة ، والأجزاء الخلفية من جسده على شكل جسد أسد أراد المصريون القدماء ان يرمزوا به لقوتهم وثروتهم (٣٥٥) . بينما وجد فرمنال أن أبا الهول له وجه امرأة وجسد ثور (٣٥٦) ووصفه مونكونى بأنه له وجه سيدة وجسد أسد (٣٥٧) .

أعجب الرحالة الفرنسيون بآثار مصر القديمة وذكروا أن مصر مليئة بالآثار والمسلات والموميات وجذبت الأخيرة انتباههم حتى أن بيلون ذكر حرص القنصل الفرنسى فونيل على شراء مومياء لطفل وارسلها الى فرنسا (٣٥٨) ولذلك حرصوا على زيارة سقارة واسماها تيفنو « مدينة ألموميات » لأن بها العديد منها وأكد ان معظم الفرنسيين قد اشتروا الموميات من هذه المدينة وانه استطاع بمساعدة مرشد عربى أن ينزل فى بئر وجده مليئا بالموميات المحنطة وان المصريين القدماء حرصوا على تحنيط موتاهم

---

(٣٥٤) Thevet : Op. Cit., Universselle P. 19[illegible].

(٣٥٥) Belon : Op. Cit., 117 a.

(٣٥٦) Fermanel : Op. Cit., P. 73.

(٣٥٧) Monconys : Op. Cit., P. 61.

(٣٥٨) Belon : Op. Cit., 116 a.

بعيدا عن النيـل وتركوا وجوههم مكشـوفة ايمانا منهم بعودة الأرواح الى اجسادهم (٣٥٩) ويتم لف الموميـاء بالكتـان وتطلى الأقدام والأظافر بالحناء وقد نزع فرمنال أربطة مومياء وجدها في سقارة فوجد جسدها اسود اللون انتزعت منه الأحشـاء ومعظم الموميات التى وجدها كانت مغطاه بالبلسم واكد أن صحراء سقارة الجافة ساعدت على حفظ هـذه الموميـات وان العرب يرفضون حملها فى سفنهم « لأنها نذير شؤم » (٣٦٠) .

ويلاحظ من وصف الرحالة الفرنسيين للآثار المصرية انهم اعتمدوا كثيرا فى كتاباتهم على المؤرخين الاغريق خاصـة تيفيه ، كذلك جاءت بعض معلوماتهم غير صحيحة مثل تأكيد مونكونى أن خوفو هو فرعون موسى ، كذلك ايمانهم العميق بلعنة الفراعنـة وتأكيدهم لها كمـا أن أغلبهم عجز عن تحديد وصف لأبى الهول « فهو تارة له جسد ثور وتارة له جسد كلب أو جسد اسـد أما وجهه فهو وجه امرأة » وهذا الخلط يرجع الى اقتباسهم من كتابات الاغريق هذا بالاضافة الى انه فى تلك الفترة لم تكن هناك معرفة صحيحة ودقيقة عن الآثار المصرية .

مدينة الاسكندرية :

وهى من أهم موانىء مصر وبها العديد من التجار المسيحيين واليونانيين وهى عامرة باليونانيين والأسبان والايطاليين (٣٦١) . وقـد رأى كوبان ان موقـع المدينـة سيىء لأن الرمـال تحيط

---

(٣٥٩) Thevenot : Op. Cit., P. 437.

(٣٦٠) Fermanel : Op. Cit., P. 83.

(٣٦١) Clément : Op. Cit., P. 8.

بها (٣٦٢) وذكر دى كاستل ان ميناء الاسكندرية اصابه التدهور بعد اكتشاف راس الرجاء الصالح فلم تعد السوق الكبير للتوابل (٣٦٣) .

واكد تيفنو ان هواء الاسكندرية سيىء للغاية من يوليو الى سبتمبر (٣٦٤) وذكر شسنو ايضا هذه الملاحظة خاصة هواء بحيرة مريوط ووصفه « انه غير صحي وغير نقى » (٣٦٥) واتفق ذلك مع ما ذكره ليو الافريقى « ان بعض منتجات البساتين مؤذية ويصاب الناس بالحمى بعد تناولها » (٣٦٦) .

هذا وقد إقيمت مبانى الاسكندرية فوق صهاريج ماء ذات قناطر ويصل ماء النيل الى هذه الصهاريج ، واثناء الفيضان يتم حفر قناة صناعية محفورة من النيل حتى الاسكندرية ويدخل الماء تحت سور المدينة ليصب فى الصهاريج (٣٦٧) .

وقد وصف رحالة القرن السادس عشر منازل الاسكندرية بأنها جميلة وشوارعها ومحلاتها تشبه محلات بلاد الشام (٣٦٨) ولكن رحالة القرن السابع عشر وصفوها على عكس ذلك فالشوارع مظلمة غير مرصوفة سقوفة لحجب اشعة الشمس ومنازلها صغيرة النوافذ والفتحات (٣٦٩) .

---

(٣٦٢) Coppin : Op. Cit., P. 219.

(٣٦٣) Clément : Op. Cit., P. 12.

(٣٦٤) Thevenot : Op. Cit., P. 391.

(٣٦٥) Chesnau : Op. Cit., P. 15.

(٣٦٦) ليو الافريقى : المرجع السابق ، ص ٥٧٢ .

(٣٦٧) Palerne : Op. Cit., P. 19.

(٣٦٨) Palerne : Op. Cit., P. 19.

(٣٦٩) Ibid : Op. Cit., P. 19.

هذا ويتولى ادارة المدينـة أغـا يعاونه قاض واثنـان من السوباشى (٣٧٠) والمدينة ضعيفة التحصين لا يوجد بها الا عدد قليل من المدافع ، وأسوارها القديمة القريبة من البحر لايزيد ارتفاعها عن عشرة أقدام (٣٧١) .

وتعيش الجالية الفرنسية فى خان خاص بها يغلق عليها ليلا ويسلم المفتاح للأغـا ويدفع التاجر ستة قروش مقابل اقامته فى الخان ولا يسمح للتجار بالخروج يوم الجمعة وقت الصلاة (٣٧٢) ويشبه الخان الفرنسى من الداخل الدير كما ذكر دى كاستل(٣٧٣).

ولابد التجار الأوروبيين من المرور على الجمرك ويوجد فى جمرك الاسكندرية ملتزم يهودى يحمل لقب معلم له سيطرة كبيرة على الجمرك الذى يتم اغلاقه يوم السبت عطلة اليهود (٣٧٤) . ويوجد جمرك آخر قديم توجد بعض الأبراج قريبة منه وتعتبر هذه الأبراج بمثابة قصـور يمكنها استيعاب مائتى رجل ويحذر على الأجانب زيارتهـا ولكن تيفنو تمكن عن طريق الرشـوة من تفقد هذه الأبراج والكتابة عنهـا فأكد أن تحصيناتهـا ليسـت قويـة (٣٧٥) .

ويتم نقل البضـائع التى تفد على الاسكندريـة بواسـطة « سفن الجرمة » الى رشيد ومنها الى القاهرة (٣٧٦) .

---

(٣٧٠) Monconys : Op. Cit., PP. 13 — 14.

(٣٧١) Coppin : Op. Cit., P. 22.

(٣٧٢) Thevenot : Op. Cit., P. 81.

(٣٧٣) Clément : Op. Cit., P. 12.

(٣٧٤) Thevenot : Op. Cit., P. 395.

(٣٧٥) Ibid : P. 383.

(٣٧٦) Coppin : Op. Cit., P. 18.

اما عن آثار المدينة فهى غنية بالآثار والأطلال والاحجار واطلالها تدل على جمالها القديم وانها « كانت اكثر المدن ثراء وعظمة » (٣٧٧) . ومن الآثار الجميلة المسلات وقد ذكر بيلون ان اجمل المسلات تم انتزاعها من الاسكندرية ونقلت الى روما(٣٧٨) وبعض مسلات الاسكندرية استعمل أكثر من عشرين الف شخص لرفعها ، ومعظم المسلات عليها كتابات بالهروغليفية وقد تم نقل العديد منها الى روما واستانبول (٣٧٩) .

ومن الآثار التى كتب عنها الفرنسيون قصر كليوباترة وقد وصف كوبان شواهده بأنها مغطاه بالمرمر الأبيض وبقايا ابوابه من الرخام والجرانيت (٣٨٠) .

وتحوى الاسكندرية العديد من الأعمدة الرخامية (٣٨١) . لعل اجملها عمود بومبى (السوارى) الذى أقيم ذكرى لانتصار قيصر على بومبى وهو كتلة صخرية منحوت من الجرانيت (٣٨٢) وقد وصفه الرحالة انه من عجائب الدنيا ونظرا لارتفاعه يعجز عن تقليده اى صانع وقد اكد بيلون انه أجمل واضخم من أعمدة جريبا فى روما (٣٨٣) وبالغ تيفنو فى وصفه لعمود بومبى فذكر انه يمكن رؤية ايطاليا من قمته (٣٨٤) .

---

(٣٧٧) Thevenot : Op. Cit., P. 387.
(٣٧٨) Belon : Op. Cit., P. 94 L.
(٣٧٩) Coppni : Op. Cit., P. 20.
(٣٨٠) Ibid : P. 20.
(٣٨١) Monconys : Op. Cit., P. 13.
(٣٨٢) Belon : Op. Cit., P. 93 a.
(٣٨٣) Ibid : P. 93 a.
(٣٨٤) Thevenot : Op. Cit., P. 387.

اما ليو الافريقى فقد ذكر ان السوارى قد اقيم لذكرى مقتل المسيحيين المصريين على يد دقلديانوس وفى ذروة العمود مرآة كبيرة من فولاذ حتى أن اى سفينة قد تمر من جانب هذه المرآة فلابد وأن تشتعل فى الحال (٣٨٥) .

وقد استرعت الكنائس والآثار المسيحية اهتمام الرحالة فركزوا حديثهم عن كنيسة القديس مرقص أوسان مارك فذكر بالرن أن « البنادقة سرقوا جثمانه ونقلوه الى بلادهم واكد وجود حجر من الرخام فى احد شوارع الاسكندرية قيل انه المكان الذى قطعت فيه راس القديس » (٣٨٦) .

كذلك كتب الرحالة عن « كوم الشقافة » ووصفوها بأنها « تل به بعض الآثار القديمة » (٣٨٧) . وقد أطلق عليه ليو الافريقى « تل الكسرات » حيث يعثر الناس على العديد من الأبنية القديمة (٣٨٨) .

هذا وقد وصفوا مدينة الإسكندرية بانها مدينة غنية عامرة بثروتها الزراعية يوجد بها العديد من الفواكه والخضروات والأشجار المثمرة عدد انواعها بيلون ولعل اهمها الموز والتمر الهندى وشجر الاثل واوراق البردى بالاضافة الى ثروتها السمكية الهائلة (٣٨٩) .

وكذلك زاروا مدينة ابى قير ووصفوا تحصينات تلك المدينة

---

(٣٨٥) ليو الافريقى : المرجع السابق ص ٥٧٢ .

(٣٨٦) Falerne : Op. Cit., P. 13.

(٣٨٧) Coppin : Op. Cit., P. 24.

(٣٨٨) ليو الافريقى : المرجع السابق ص ٥٧٢ .

(٣٨٩) Belon : Op. Cit., P. 93 a.

التى تبعد من الاسكندرية مسافة بسيطة وانها « مدينة صغيرة » بنيت على ساحل البحر المتوسط بها عدد من مزارع النخيل (٣٩٠) ويوجد قصر فى المدينة به قوة من العساكر بقيادة أغـا وعدد قليل من المدافع منها مدفعان اخذا من الملك لويس التاسع بعد سجنه فى المنصورة الا ان هـذه التحصينات ضعيفة وفى حالة سيئة وعلل كوبان ذلك « بأن الأتراك كانوا يهملون المكان الذى يستولون عليه » أما عن مياه الشرب فتصل بواسطة السقائين (٣٩١) .

وتمتد مسافات كبيرة من الرمال فيما بين الاسكندرية ورشيد وتوجد منطقة مزروعة بأنواع مختلفة من الاعشاب يتم تصـــدير العديد منها الى البندقية وتستخدم هذه الأعشاب بعد حرقها . فى صـــناعة المورانو والكريســـتال وقد ذكر بيلون ملاحظـة طريفة وهى أن الرعـاة كانـوا يقومون بالتجـول والتفتيش فى الرمـال لعلهم يجدون بعض العملات التى سقطت من المسافرين (٣٩٢) .

وتقع مدينة رشيد عند مصب النيل وكانت تسمى « قديما كانوب » تبعد ستين ميلا عن الاسكندرية وهى من اجمل مدن مصر بعد القـاهرة (٣٩٣) ويتولى ادارتها أغـا ومعـه سـوباشى « وميناؤها اغنى من ميناء الاسكندرية » وهى مدينة مزدحمـة مأهولة بالسكان فيها حرية أكثر من مدينة الاسكندرية (٣٩٤) بهـا العديد من مصانع الأرز يكثر فيها الصناع والتجار ، ويعمل فيها

---

(٣٩٠) Ibid : 93 a.

(٣٩١) Coppin : Op. Cit., P. 28.

(٣٩٢) Belon : Op. Cit., P. 97 a.

(٣٩٣) Thevenot : Op. Cit., P. 396.

(٣٩٤) Monconys : Op. Cit., P. 29.

اليهود باعداد كبيرة وترسو فى مينائها السفن الكبيرة المحملة بالبضائع (٣٩٥) .

وقد نزل الرحالة الفرنسيون فى ضيافة نواب القنصل فى رشيد فنزل مونكونى لدى نائب القنصل دانطوان (٣٩٦) ونزل كوبان فى ضيافة أونوريه دى بريمون (٣٩٧) . واكدا تمتع الفرنسيين بحرية التجارة فيها غير انه لابد من دفع الرسوم الجمركية على البضائع (٣٩٨) .

ويزرع فى المدينة العديد من الحاصلات مثل الموز والبطيخ فضلا عن كون المدينة من الموانى الهامة وتمتاز بغنى ثرواتها الزراعية والحيوانية (٣٩٩) .

وتمتاز رشيد بجمال منازلها التى تضارع منازل القاهرة كما أن بها حمامات فخمة ، ويحرص السكان على وجود الحدائق فى منازلهم ويزرعون فيها اوراق البردى وقصب السكر والقلقاس، ويزرع فى رشيد بعض النباتات التى تستخدم فى الصباغة ويستوردها التجار اليونانيون بينما تستورد المدينة الأخشاب اللازمة لصناعة السفن من استانبول ، فميناء رشيد له علاقاته التجارية مع العديد من مدن العالم وحرفة السكان الرئيسية هى صيد الأسماك (٤٠٠) .

---

(٣٩٥) Belon : Op Cit,. P. 98 b.
(٣٩٦) Monconys : Op. Cit., P. 29.
(٣٩٧) Coppin : Op. Cit., P. 28.
(٣٩٨) Thevenot : Op. Cit., P. 306.
(٣٩٩) Palerne : Op. Cit., P. 220
(٤٠٠) Belon : Op. Cit., PP. 97 a — 98 b.

وقد اعرب كوبان عن استيائه من كميات الناموس الهائلة التى وجدها فى المدينة واستخدم نفس العبارات التى ذكرها بيلون من قبل مؤكدا انه كان حائلا دون الاستمتاع بجمال المدينة (٤٠١) .

وتعد دمياط من اهم المدن والموانى التى ذكرها الرحالة الفرنسيون فقد اكد بالرن بأنه « لا توجد مدينة تضارع دمياط فى تجارتها ونشاطها التجارى » ويعمل فى المدينة العديد من التجار الأوروبيون واقام فيها قنصل فلورنسا فى القرن السادس عشر (٤٠٢) .

وذكر بالرن أن مدينة دمياط القديمة دمرت بعد حملة لويس التاسع وكانت تشغل موقع عزبة البرج الحالية وفى زمن الحروب الصليبية كانت دمياط محصنة تحصينا قويا أما « الآن فهى بلا قلاع ولا تحصين » (٤٠٣) .

وقد اكد كوبان ـ الذى عمل قنصلا فى دمياط هذه الحقيقة فذكر بروح حاقدة على الدولة العثمانية قائلا « تعمدت التجول فى دمياط للكتابة عن تحصيناتها لكى احصل على معلومات تفيد بلادنا المسيحية ، وذلك لأننى اؤمن بتجميع المسيحيين فى حلف مقدس ضد الأتراك وارسال حملة صليبية جديدة ولذلك اجمع المعلومات عن مدى ضعف الامبراطورية العثمانية (٤٠٤) « والمدينة ليست قوية التحصين كما كانت عليه فى العصور الوسطى ومن السهل الاستيلاء عليها لأن تحصيناتها ضعيفة » (٤٠٥) .

---

(٤٠١) Coppin : Op. Cit., P. 28.

(٤٠٢) Palerne : Op. Cit., P. 171.

(٤٠٣) Ibid : PP. 171 — 173.

(٤٠٤) Coppin : Op. Cit., P. 318 — 320.

(٤٠٥) Ibid : P. 204

وتمتاز مدينة دمياط بتجارتها وصناعتها فقد قامت فيها صناعة متطورة للأقمشة فهى تنتج افضل انواع الملابس الملونة (٤٠٦) وللمدينة نشاط تجارى كبير مع بلاد الشام وخاصة مع يافا ، بيروت (٤٠٧) وتشتهر دمياط بثروتها الزراعية واشجارها المثمرة ففيها افضل أنواع الفاكهة والأشجار من ليمون وموز ونخيل وبرتقال وزيتون وتين وقصب السكر ويمكن الحصول على أفضل انواع الموز من دمياط (٤٠٨) .

اما عن تربية الماشية فقد اكد فيلامون ان نشاطها أكبر حجما فى دمياط عن غيرها من مدن مصر (٤٠٩) وأكد هذه الحقيقة أيضا كوبان فذكر أنها « أرخص واكبر حجما من ماشية القاهرة »، كذلك تمتاز المدينة بثرواتها السمكية ويقوم الناس بتجفيف وتمليح الأسماك وهم بارعون فى صناعة « البطارخ » (٤١٠) .

ومنازل دمياط جميلة تشبه « منازل مدينة طرابلس » حدائق مزدهرة عامرة بالفواكه والخضروات التى تروى بماء النيل (٤١١) .

هذا ولم تقتصر زيارات الرحالة على مدن مصر وموانيها الهامة وانما تجولوا فى المدن والقرى الصغيرة خاصة المناطق الواقعة بالقرب من رشيد فوصفها بيلون « انها من أجمل قرى

---

(٤٠٦) Villamont : Op. Cit., P. 177.

(٤٠٧) Palerne : Op. Cit., P. 181.

(٤٠٨)

(٤٠٩) Ibid : P. 177.

(٤١٠) Coppin : Op. Cit., P. 332.

(٤١١) Belon : Op. Cit., 996.

مصر ومن اغناها ، يزرع فيها انواع مختلفة من الفواكه والقمح وقصب السكر » .

كذلك فان من اجمل المناطق التى وصفوها محلة الأمير ومطوبس (٤١٢) .

اما فوه فقد وصفها بيلون بأنها اكبر من رشيد ويزرع فيها قصب السكر والخيار وبها العديد من اشجار النخيل والقلقاس ومختلف أنواع الخضروات والقمح والأرز (٤١٣) .

وانفرد ليو الافريقى بذكر بعض الملاحظات عن برنبسال فذكر « انها تحوى العديد من الساقطات » وعلل ذلك ان بها عددا كبيرا من العمال يشتغلون بضرب الأرز ويحققون مكاسب مالية كبيرة ولذلك فان المدينة تجذب أنظار الساقطات (٤١٤) .

وابدى الرحالة اعجابهم الشديد بالمدن والقرى الواقعة بين دمياط والقاهرة خاصة شربين والمنصور وتمتاز الأخيرة بتوفر « القمح والأرز والفواكة والخضراوات » (٤١٥) .

واذا ابتعدنا قليلا من مدن الوجه البحرى سنجد ان سيناء لفتت انظار الرحالة وكان لابد أن يقدموا لنا وصفا عنها خاصة وأنهم مروا بها إثناء قدومهم أو عودتهم من مصر . وقد اهتموا بزيارتها خاصة وان بها دير سانت كاترين فقدموا وصفا للدير وللرهبان فذكروا « انهم ينتمون للكنيسة اليونانية يلبسون غطاء يغطى اجسامهم كلها يعملون فى فلاحة الأرض لا يأكلوم اللحوم

---

(٤١٢) Belon : Op. Cit., P. 996.

(٤١٣) Ibid : P. 996.

(٤١٤) ليو الافريقى : المرجع السابق . ص ٥٧٥ .

(٤١٥) Villamont : Op. Cit. P 181.

او الزبد والجبن وغذاؤهم الرئيسى من الزيتون والبصل والسمك » واكد بالرن « ان سيناء هى جزء من آسيا وهى حقيقة جغرافية معروفة (٤١٦) .

واكد بيلون ان الحجاج المسيحيين الأوروبيين يحرصون بعد اداء فريضة الحج على زيارة سيناء ولابد لهم من المرور على دير سانت كاترين غير انه يتحتم « الحصول على تصريح من السلطات التركية » ، كذلك لابد من وجود دليل أو مرشد عربى ليدلهم على الطريق . وذكر بيلون أن الدير يحوى العديد من رجال الدين المارونيين والسوريين واليونانيين الذين يتكلمون بلغات مختلفة .

ومن المناطق التى حرص المسيحيون الأوروبيون على زيارتها فى سيناء ايضا منطقة عيون موسى حيث لا ينقطع منها الماء (٤١٧) ولكن « طعم الماء سيىء حار قذر » .

ومدينة الطور بها قلعة ويوجد فيها اليهود والمسيحيون والأرمن وهى « ميناء الهند » فى مصر كما اطلق عليها بالرن (٤١٨) وبها كنيسة للمارونيين وسوق للأسماك الجافة التى تملح فى الشمس وهى « مأوى للقوافل التى تتوقف فيها لتنال قسطا من الراحة قبل استكمال الطريق الى مكة والجزيرة العربية » ويمر فى الطور قوافل تحمل المسك والملح ومختلف أنواع البضائع (٤١٩) .

---

(٤١٦) Falerne : Op. Cit., P. 141.

(٤١٧) Belon : Op. Cit., 128 a.

(٤١٨) Falerne : Op. Cit., PP. 148 — 150.

(٤١٩) Belon : Op. Cit., P. 129 b.

وتقع السويس فى الطريق بين سيناء والقاهرة وهى ميناء هام يتوفر فيها المياه العذبة وبها انواع مختلفة من الفواكه خاصة العنب وانواع مختلفة من الماشية . ومنازل المدينة مبنية من سعف النخيل واثناء تواجد بيلون فيها كان الباشا يجهز حملة الى زبيد فى اليمن فقبض على عدد كبير من العرب لتجنيدهم وذكر بيلون ان المسيحيين احتموا فى منازلهم ولم يخرجوا منهـا خوفا من ان يجبرهم الباشا على الذهاب الى اليمن (٤٢٠) .

وتعتبر الصالحية من المناطق الواقعة فى الطريق الى سيناء وقد بنيت منازلها بجذوع الأشجار وبها العديد من المواشي والدواجن وهى « نقطة هامة فى الطريق المؤدى الى سيناء وبها العديد من المنازل والمساجد الجميلة وهى غنية بأشجارها وفواكهها ويزرع فيها الأرز والشعير والتفاح والعنب والنخيل وتمتاز بوفرة مياهها » (٤٢١) . وقد اضاف ليو الافريقى بأن الطريق ما بين الخانكة والسويس غير مأهول بالسكان (٤٢٢) .

اقتصرت زيارات الرحالة الفرنسيين على المدن الهامة والرئيسية فى الوجه البحرى بالاضافة الى سيناء اما مصر الوسطى والعليا فلم يتصلو بها وبالتالى لم يقدموا ملاحظاتهم عنها .

هذا وقد لفتت الصحراء الغربية بأديرتها اهتمام رحالة القرن السابع عشر فقاموا بزيارتها وتجولوا فى منطقة وادى النطرون حيث توجد الأديرة المسيحية فتجول كوبان بين دير أبى مقار ،

---

(٤٢٠) Belon : Op. Cit., 132 a.

(٤٢١) Ibid : P. 136 b.

(٤٢٢) Ibid : P. 136 b.

(٤٢٣) ليو الافريقى : المرجع السابق . ص ٦٠٨ .

ودير الأنبا بيشوى ودير القديس جرجس وذكر « أن الأديرة الثلاثة متقاربة تقع في صحراء وادي النطرون » ويوجد دير رابع هو « دير السريان » يقع فى المنطقة المعروفة « بحر بلا ماء » واكد كوبان ان سبب تسمية المنطقة بهذا الإسم يرجع الى ان بعض القراصنة أرادوا مهاجمة الدير فاخذ الرهبان يصلون ويدعون الله لانقاذهم ولما كانت مياه البحر تصل الى الدير فقد استجاب الله لدعوات الرهبان وإنحسر الماء نهائيا عن المنطقة وفشل القراصنة فى النزول بسفنهم فيها ولذلك سميت المنطقة « بحرا بلا ماء » لأن المياه كانت تصل اليها قديما . ولاشك أن رواية كوبان التى سمعها من الرهبان بعيدة كل البعد عن التفسير العلمى وقد زار هذه المنطقة علماء الحملة الفرنسية وقدموا العديد من الدراسات العلمية عنها (٤٢٥) .

ويعتبر دير ابو مقار من اهم الاديرة فى وادى النطرون ، وهو لا يبعد كثيرا عن الاسكندرية ويوجد بداخله جثمان أبى مقار فى تابوت من الرخام ـ والأديرة الثلاثة بها العديد من الرسومات التى تمثل العذراء وتتوفر المياه فيها ولكنها تتوفر بدرجة افضل فى دير الأنبا بيشوى ، وتتوفر الفواكه فى دير السريان والأديرة الثلاثة محكمة التحصين محاطة بأسوار عالية خوفا من هجمات البدو (٤٢٦) .

وهكذا اقتصرت رحلات الرحالة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر على مدن الوجه البحرى ومصر السفلى وان كانت

---

(٤٢٤) Belon : Op. Cit., 136 b.

(٤٢٥) لمزيد من المعلومات عن منطقة « بحر بلا ماء » انظر ما كتبه الجنرال اندريوسى من علماء الحملة الفرنسية عن المنطقة فقدم دراسة طبوغرافية عنها « طبوغرافية البحر الفارغ » وصف مصر ج ٢ .

(٤٢٦) Coppin : Op. Cit. PP. 272 --- 281.

هناك بعض الجولات القليلة فى اجزاء من الوجه القبلي مثل زيارة كوبان لبنى سويف لزيارة بعض الأديرة فيهـا وقد وصف كوبان قرى ومدن الوجه القبلى بأنها « اقل جمـالا وتحضرا من الوجه البحرى » (٤٢٧) .

اما عن ثروة مصر الزراعية والحيوانية فقد قدم بيلون بوصفه عالمـا طبيعيا وصفا دقيقا عنها بحكم تخصصه ومن أهم الفواكه التى لفتت أنظار الرحالة الموز وذكر بيلون « أن العرب يعتبرون الموز هو الثمرة التى حرمها الله على آدم » وتنتج مصر كميـات كبيرة من أجود أنواعه فى مدينة دمياط (٤٢٨) ويصنع منه السكان المربى .

وينمو الشمام فى مصر فى معظم المدن المصرية واجود أنواعه فى رشيد كذلك التين ينمو فى معظم المدن وتمتاز أشجاره بالضخامة ومن أشهر فواكه مصر الليمون والبرتقال والتمر هندى والنخيل « أما الأخشاب فهى قليلة فى مصر وتستورد العديد منها » (٤٢٩.

ومن أشهر أنواع الخضراوات الخيار وخاصـة خيار الشنبر « ويوجد كميات كبيرة منه خاصـة فى بولاق والمطرية واشـجاره تشبه أشجار التوت وازهاره كبيرة شديدة البياض ويبلغ ارتفاع شجرة الشنبر نفس ارتفاع اشجار الموز » ومن الخضراوات التى اعجب بها بيلون وغيره من الرحالة واستحسنوا مذاقها «القلقاس» وافاضوا فى الحديث عنه وكيفية طهوه ويوجد فى مصر كميـات

---

(٤٢٧) Ibid : PP. 276 — 279.

(٤٢٨) Belon : Op. Cit. P. 93 b.

(٤٢٩) Ibid : Op. Cit. 130 b.

كبيرة من الأرز والفول والقمح والشعير والذرة وذكر بيلون ان الشعير والفول فى مصر غذاء للحيوان والانسان (٤٣٠) .

اما النباتات فقد أفاض بيلون فى الحديث عنها وعدد انواعها ولعل اهمها اشجار الطلح Acaccia وقد ذكرها ليو الافريقى أيضا « وهى شجرة شوكية تنتج الصمغ ونوع الصمغ الذى تنتجه يشبه المستكة » ولذلك يستخرجه بعض التجار « للغش والتدليس على انه مستكة » لأن له نفس اللون والطعم (٤٣١) وتستورد اليونان كميات كبيرة منها بعض هذه الأعشاب تفرض عليها الضرائب مثل الحنة والبعض منها « يستخدمه الأتراك لطرد الأرواح الشريرة » ، كما يستخدمون الأعشاب « كمطر » أيضا خاصة الياسمين الذى يزرع فى معظم حدائق القاهرة (٤٣٢) .

ويزرع ايضا فى مصر أوراق البردى والورود على اختلاف انواعها والحنة السوداء واللوتس (٤٣٣) وفى سيناء يتم جمع « المن » ويقوم الرهبان بجمعه وتوجد العديد من الأعشاب فى صحراء سيناء وتوجد زهرة تعرف باسم « كف مريم » يقال انها تتفتح مرة واحدة فى العام لأن العذراء أثناء مرورها فى سيناء امسكت واحدة بكفيها » .

أما ثروة مصر الحيوانية فقد قدم بيلون وصفا تفصيليا عنها فمصر غنية بالأبقار والماشية والجاموس والعجول والأغنام والماعز . وأكد بيلون أن حجم الماشية فى مصر أكبر من حجمها فى

---

(٤٣٠) Belon : Op. Cit., 120. a.

(٤٣١) ليو الافريقى : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٤٣٢) Belon : Op. Cit., P. 136 a.

(٤٣٣) Ibid : P. 99 b.

اى بلد آخر اما الجمال والخيول فتوجد اعداد كبيرة منها وتمتاز بكبر حجمها فى مدن مصر أما فى سيناء فهى صغيرة الحجم (٤٣٤) .

وتستخدم الجمال فى الانتقال وبعض السكان يأكلون لحم الجمال مدخنا بعد تجفيفه فى الشمس وقدر بالرن عدد الجمال فى القاهرة وحدها بثلاثين ألف جمل وقد وصفها بأنها « هادئة ترقص على نغمات الطبول » (٤٣٥) .

وذكر بيلون أن المصريين لديهم قدرة غريبة على تدريب الحيوانات خاصة القرود والحمير والجمال والخيول (٤٣٦) . واتفق ذلك على ما ذكره ليو الافريقى عن مقدرة المصريين على تدريب حيواناتهم فقال رايت فى القاهرة جمالا ترقص على نغمات الطبل وقد شرح لى صاحبه كيف دربه فقد اختار قعودا وحبسه مدة نصف ساعة فى غرفة مبنية كأنها غرفة حمام وكانت ارضيتها مدفأة بواسطة موقد . وفى خلال هذا الوقت كان يقف الرجل خارج الحجرة ويلعب بدق الطبل وكان الجمل يرفع رجلا ويخفض اخرى كما لو كان يرقص وليس بسبب هذه الموسيقى بل بسبب السخونة التى كانت تؤلمه وبعد سنة من هذا الترويض قاد الرجل هذا الجمل الى الساحة العامة وما ان يسمع هذا قرعات الطبل حتى يظن انه فوق الأرض التى كان عليها وذلك بسبب تذكره حرارة النار التى كانت تلسع خفيه فيرفع قوائمه بنفس الطريقة حتى ليبدو وكأنه يرقص » (٤٣٧) .

---

(٤٣٤) Ibid : P. 120 B.

(٤٣٥) Palern : Op. Cit., P. 50.

(٤٣٦) Belon : Op. Cit., 120 B.

(٤٣٧) ليو الافريقى : المرجع السابق ص ٦٣٧ .

ومن الحيوانات التى اهتم الرحالة بذكرها « وعل أوريكس » او المهـا وقد خصص له بيلون فصـلا بأكمله فوصفه بأنه يشبه « الثور » وان كان اصغر حجما ويباع بأسـعار كبيرة (٤٣٨) . اما ليو الافريقى فقد ذكر أن وعل الأوريكس « يفقد أظافره فى الصيف بسبب سخونـة الرمال فيمنعه الألم من الركض ولذلك من السهل صيده فى فصل الصيف » (٤٣٩) وتصنع التروس من جلده الذى يمتاز بالصلابة وتباع بأسعار عالية الثمن .

كذلك خصص بياون فصلا بأكمله للحديث عن « قط الزباد » كان قنصل فلورنسا فى الاسكندرية يمتلك واحدا وكان يقدم له اللبن فقط حتى يتمكن من ترويضـه ، ويستخرج « الزباد » من هذا الحيوان وهى مادة يفرزها « من العرق تحت ابطيه » (٤٤٠) « وذيله وحالبيه » ويمكن استخراج الزباد « مرتين أسبوعيا » على حسب قول ليو الافريقى (٤٤١) .

ويوجد بمصر انواع كثيرة من الماعز والغزال « وتكثر اعداد الغزال فى صحراء سيناء والصحراء الشرقية والسويس (٤٤٢) .

ومصر غنية بثرواتها المـائية ففيها « اعداد كبيرة من الأسماك مختلفة الأنواع واجودها فى رشيد » (٤٤٣) . وبالاضافة الى الثروة السمكية توجد أعـداد كبيرة من « فرس النهر » الذى يمتـاز

---

(٤٣٨) Belon : Op. Cit., 118 b.

(٤٣٩) ليو الافريقى : المرجع السابق ص ٦٤١ .

(٤٤٠) Belon : Op. Cit., a.

(٤٤١) ليو الافريقى : المرجع السابق ص ٦٤٥ .

(٤٤٢) Palerme : Op. Cit., P. 11[illegible].

(٤٤٣) Fermanel : Op. Cit. P. 5.

بكبر حجمه وجلده السميك . واكد فرمنـال ان « فرس النهر لا يتواجد الا فى نيل دمياط فقط » (٤٤٤) .

اما التماسيح فقد أسهب الجميع فى وصفها فذكر شسنو بأنها توجد « بأعداد كبيرة فى النيل ومنها الصغير والكبير فأحجامها متعددة » (٤٤٥) وأكد تيفيه ان المصريين والعرب « يأكلون لحم التماسيح » (٤٤٦) وتحدث فيلامون عن خطورتها وانها تخرج احيانا الى الشاطىء وتلتهم النساء والأطفال . وقد روى فيلامون قصة طريفة وهى أن تاجرا من البندقيـة اشترى تمساحا من بولاق لعرضه فى ايطاليا وقد شق بطنه لتحنيطه ووجد اعدادا كبيرة من الحلى التى يرتديها المغاربة وكميات كبيرة من الأساور الفضية والنحاسية ، وأكد أن التمساح عندما يبتلع انسانا فانه « يبدأ براسـه » ، ويحصـل المصريون على « المسـك من انثى التمساح » (٤٤٧) .

وقدم لنا ليو الافريقى كيفية صيد التماسيح فى مصر فذكر انه يستخدم حبلا طويلا يربط فى شجرة كبيرة وفى نهاية الحبل يربطون فيها نعجة فيخرج التمسـاح ليبتلع الحيوان مع الكلابة فتخترق فكه ولايمكن أن يتخلص منها (٤٤٨) وذكر فرمنال انهم « يربطون حمارا مجروحا لصيد التماسيح » .

وقد خصص بيلون فصلا بأكمله لوصف شكل التمسـاح وارجله وجلده فذكر انه « يشبه الحرباء » له ذيل طويل يتكون

---

(٤٤٤) Ibid : P. 5.

(٤٤٥) Chesnau : Op. Cit., P. 30.

(٤٤٦) Thevet : Op. Cit., Levant P. 101

(٤٤٧) Villamont : Op. Cit., PP. 194 --- 197.

(٤٤٨) ليو الافريقى : المرجع السابق . ص ٦٤٥ .

من « عدد من الحلقات » ويمتاز جلده بالسمك والقوة (٤٤٩) وفى نيل مصر يوجد اعداد كبيرة من البجع وكلاب البحر (٤٥٠) .

ويكثر فى مصر الزواحف خاصة فى سيناء وقد خصص بيلون جزءا كبيرا لوصف الزواحف خاصة الحرباء فذكر انها تتلون حسب البيئة وان الوانها متعددة كذلك وصف ما شاهده من أنواع مختلفة من السحالى والثعابين (٤٥١) .

وفى مصر اعداد كبيرة من الطيور خاصة العصافير على اختلاف انواعها ويساعد مناخ مصر المعتدل والذى يمتاز بالدفء طوال العام على نموها وتكاثرها بكميات كبيرة (٤٥٢) ومن المخاطر التى تتعرض لها الطيور فى مصر خطر حيوان النمس او كما يسميه المصريون « فأر الفراعنة » ويستخدم لصيد القطط والفئران والدجاج والعصافير (٤٥٣) وقد تأكد بيلون بأنه يتم فى الاسكندرية تربية النمس فى الحدائق التخلص من القطط والفئران . والنمس لا يهدد الطيور فقط وانما يلتهم اعدادا كبيرة من بيض التماسيح (٤٥٤) .

النيـــل :

انبهر الرحالة الفرنسيون بجمال نيل مصر فوصفه فرمنال « بانه من اكبر الأنهار ويخرج من جنة الأرض ويستمد مياهه من

---

(٤٤٩)
(٤٥٠) Belon : Op. Cit., 101 a.
(٤٥١) Ibid : 98.
(٤٥٢) Ibid : 95 b.
(٤٥٣) Thevet : Op. Cit., P. 211.
(٤٥٤) Belon : Op. Cit., PP. 95 a — 95 b.

بحيرة تقع عند اقدام جبل القمر فى اثيوبيا ، فيضانه معجزة وله مواسمه ويستمر من يونيو الى سبتمبر » (٤٥٥) .

هذا ونلاحظ أن الرحالة لم يحددوا منابع النيل وغلبت على كتاباتهم العديد من الأخطاء وذلك لأن منابع النيل لم تكن قد اكتشفت بعد خلال هذه الفترة . وقد وصف فرمنال فيضان النيل بأنه يعتبر كارثة فى بعض السنوات « لأنه يغرق القرى ويضطر السكان الى الاحتماء بالمناطق المرتفعة » ، كذلك فان انخفاض مياه النيل يؤدى الى كارثة حيث تنتشر المجاعات والأوبئة خاصة الطاعون (٤٥٦) .

واكد كوبان « بأن اجمل القرى التى يمكن أن يشاهدها الانسان توجد على ضفاف نيل مصر حيث يحمل لها النيل الطمى فتزداد التربة خصوبة » (٤٥٧) .

ولما كان مونكونى عالما فقد أجرى العديد من التجارب على مياه النيل وأرسل الى زملائه فى باريس بمشاهداته وملاحظاته عن كثافة مياه النيل ، ومدى ارتفاعها فى وقت الفيضان ، « وأكد ان نهر النيل اقوى بكثير من نهر السين فى فرنسا » وأعجب مونكونى « باعتماد المصريين على التقويم القمرى » وذكر « أن الأقباط هم الذين يتولون عملية الحساب السنوى بالنسبة للسنة القمرية وعدد الأشهر » (٤٥٨) .

---

(٤٥٥) Fermanel : Op. Cit., P. 29.

(٤٥٦) Fermanel : Op. Cit., P. 59.

(٤٥٧) Coppin : Op. Cit., P. 36.

(٤٥٨) Monconys : Op. Cit., PP. 55 — 5

الخاتمـــة

يتضح لنا من العرض السابق ان اهتمام فرنسا بمصر جاء نتيجة اهتمامها بالشرق بصفة عامة ، خلال القرنين السادس عشر، والسابع عشر وحرصها على التعرف على امبراطورياته العظيمـة خاصـة الامبراطورية العثمانيـة والفارسية والصينية والهنديـة فالاهتمـام بمصر انمـا هو جزء من الاهتمـام الأكبر والأهـم بالامبراطورية المهيمنة على مصر الا وهى الدولة العثمانية . فقد توثقت الصـلات بين فرنسا والدولة فى القرن السادس عشر خاصة خلال فترة الحروب الايطالية فكثرت السفارت والبعثات من فرنسا الى الدولة العثمانيـة وقد مر معظم اعضاء هذه البعثات ببلاد الشام لتأدية فريضـة الحج كما حرصـوا على المرور على مصر لزيارة أهم المزارات المسيحية فيها .

أما فى القرن السابع عشر فقد تزايد الاهتمام بالشرق بسبب رغبة فرنسا فى مد نشاطها التجـارى الى هذه الجهات وقد تمثل

هذا الاهتمام أيضا فى ترجمة القرآن الكريم وشراء المخطوطات وتكوين كوادر من المترجمين وارسال البعثات الدينية ، ولكن هذا الانفتاح الكبير على الشرق يقابله من جانب آخر توتر فى العلاقات الفرنسية العثمانية .

هذا وقد جاءت كتابات الرحالة عن الشرق ومصر بعد انقطاع طويل عن هـذه المناطق ولذلك تم تداول كتابات هؤلاء الرحـالة من قصر الى قصر ومن كنيسة الى كنيسة واستقبل الفرنسيون هذه الكتابات بشغف وحماس شديد .

ويلاحظ ان معظم رحالة القرن السادس عشر والسابع عشر كانوا من رجال الدين المسيحى مثل جريفان افاجار ــ فيلامون ــ كوبان ــ ولكن كان منهم ايضـا السفراء والساسة مثل جان تينو وشسنو ــ دى بريف ــ ودُفرمنال ، ومنهم الطبيب والفيزيـائى والجغرافى مثل بيلون ومونكونى وتيفيه ، ومنهم الأساتذة مثل تيفنو وقد اقتصر وصف هؤلاء الرحـالة على مدن مصر السفلى واهم المزارات المسيحية فى وادى النطرون وسـيناء ومصر القديمـة والمطرية . . الخ ولم يحاول معظمهم التعمق فى صعيد مصر اما لقصر الفترة التى قضـوها فى مصر او لعدم معرفتهم ودرايتهم بمدن الوجه القبلى وخوفهم من التجول فى مناطق مجهولة بالنسـبة لهم كذلك كان لابد من حصولهم على اذن من السلطات المصرية لكى يتمكنوا من زيارة هذه الأماكن .

لقد قدم لنا الرحالة وصفا لطبقات المجتمع ولأهم الاحتفالات والأعياد كما قدموا وصفا تفصيليا للبيئة المصريـة والحيوانات والزواحف والطيور والنباتات حتى أن البعض منهم قد خصص فصولا باكملها لوصف زرافة أو الحديث عن تمسـاح او بعض

السحالى والعصافير ويلاحظ أن ما نلمسه من ايجاز شديد عند وصف الحياة الاجتماعية يقابله اسهاب فى وصف البيئة المصرية .

ونلمس من كتابات الرحالة كراهيتهم للأتراك لأنهم يمثلون الدولة العثمانية المسلمة ، ونلمس تعاطفهم مع المصريين « سكان البلاد الأصليين » على حد تعبيرهم وايضا تعاطفهم مع المماليك حتى أنهم أبدوا أسفهم لوقوع مصر فى يد الدولة العثمانية بعد أن كانت دولة عظيمة فى عهد المماليك .

ونلاحظ فى كتابات الرحالة العديد من المبالغات ونجد أن البعض منهم نقل ملاحظات عن هيرودوت واسترابون — كذلك نلمس جهلهم وخلطهم بالمذهب الأرثوذوكسى فى مصر ، فخلطوا بينه وبين الديانة الاسلامية مثل قولهم « وصعد القسيس المسلم ليؤذن للصلاة » وتعجبهم لعدم « وجود أجراس فى المساجد » ، كذلك لا نلمس تعاطفهم مع الأقباط المصريين وذلك لأنهم مختلفون عنهم فى المذهب .

واذا كانت مصر العليا قد ظلت مجهولة بالنسبة لرحالة القرن السادس عشر والسابع عشر الا أن رحالة القرن الثامن عشر قد كشفوا عن هذا الغموض فخلال هذا القرن اندفعت فرنسا نحو الشرق بسبب رغبتها فى التوسع الاستعمارى وارسال البعثات الدينية ، ولا ننسى مجهود المستشرقين فى ترجمة المؤلفات العربية فازداد نهم المعرفة للشرق . كذلك تصدى رجال الدين المسيحى للديانة الاسلامية فعقدوا المقارنات « بين ديانة مكة وديانة روما » على حد تعبيرهم بالاضافة الى اهتمام المفكرين بالديانة الاسلامية ففريق هاجمها وعلى رأسه فولتير وفريق آخر أبدى اعجابه بها

وعلى راسه ديدرو وقد ادت كل هذه العوامل الى تكثيف الجهود للتعرف على الشرق واندفاع الرحالة الى مصر ، ولا ننسى تشجيع ملوك فرنسا لهؤلاء الرحالة خاصة لويس الخامس عشر .

وقد تنوعت وظائف رحالة القرن الثامن عشر فكان منهم الطبيب والعالم مثل بول لوكا ومنهم أعضاء بعثات دينية مثل الأب سيكار رئيس بعثة الجزويت ومنهم علماء آثار مثل الأب دورفال والراهب فورمان ومنهم العالم الطبيعى مثل سونينى كذلك يقابلنا اهتمام القناصل بالكتابة عن مصر وشراء المخطوطات مثل القنصل الفرنسى بينوا دى ميليه ـ ومن اهم المؤلفات التى وضعها الرحالة فى القرن الثامن عشر كتاب فولنى الذى يعد عملا متكاملا عن مصر كذلك كتاب أوليفيه الذى أوفد من قبل حكومة الادارة قبيل الحملة الفرنسية مباشرة وبذلك نجد ان رحالة القرن الثامن عشر قد افادوا من كتابات رحالة القرن السادس عشر والقرن السابع عشر واضافوا عليها وكانت هذه الكتابات كلها هى التى اعتمد عليها علماء الحملة الفرنسية عندما اخرجوا مؤلفهم « وصف مصر » حتى أن دينون ذكر انه « لولا كتابات هؤلاء الرحالة لما تمكنا من الكتابة عن مصر ودراستها الدراسة المستفيضة » .

اولا ـ المصادر والمراجع العربية :

١ ـ ابن اياس : محمد بن احمد بن اياس الحنفى : **بدائع الدهور فى وقائع الدهور** . حققها محمد مصطفى ٩٢٢ ـ ٩٢٨ هـ (١٥١٦ ـ ١٥٢٢ م) القاهرة ١٩٦٢ م جـ ٥ .

٢ ـ ابن زنبل الشيخ احمد الرمال ٩٦٠ هـ : **آخرة المماليك** تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة ١٩٦٢ .

٣ ـ أحمد عزت عبد الكريم : **دراسات فى تاريخ العرب الحديث** . القاهرة ١٩٧٠ .

٤ ـ احمد فؤاد متولى : **الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له** القاهرة ١٩٧٦ .

٥ ـ أحمد الدمرداش : **الدرة المصانة** ، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية . القاهرة ١٩٨٩ .

٦ ـ الحسن بن محمد الوزان الزياتى : **(ليو الافريقى)** : وصف افريقيا فى ١٣٩٩ هـ .

٧ ـ جاستون فييت : **القاهرة مدينة الفن والتجارة** . ترجمة مصطفى العبادى . القاهرة ١٩٩٠ .

٨ ــ زينب راشـد : **تاريخ أوروبا الحديث** . القاهرة ١٩٨٦ ج ١ .

٩ ــ سعيد عاشـور : **الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام** . القاهرة ١٩٦٩ .

١٠ ــ عبد الحميد البطريق ؛ عبد العزيز نوار : **التاريخ الأوروبى الحديث من عصر النهضة الى أواخر القرن الثامن عشر** . القاهرة ١٩٨٠ .

١١ ــ عبد الرحيم عبد الرحمـن : **المغاربـة فى مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧ ــ ١٧٩٨** تونس ٨١٩٢ .

١٢ ــ عبد الرحيم عبد الرحمن : **التاريخ الأوروبى الحـديث والمعاصر** القاهرة .

١٣ ــ عبد العزيز الشناوى : **أوروبا فى مطلع العصور الحديثة** . القاهرة ١٩٧٧ .

١٤ ــ عبد العزيز الشناوى : **الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها** . القاهرة ١٩٨٠ .

١٥ ــ على حسونه : **تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية** . دمشق ١٩٨١ .

١٦ ــ محمد انيس : **الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ــ ١٩١٤** . القاهرة ١٩٨١ .

١٧ ــ محمد فريد بك المحامى : **تاريخ الدولة العلية العثمانية** . القاهرة ١٩١٢ .

ثانيا ـ المراجع الاجنبية :

1. Belon, Pierre De Mans : *Le voyage en Egypte 1547. Le Caire 1969.*

2. Carré, Jean Marie : Voyageurs et écrivains *Français en Egypte Le Caire 1922. Tome 1*

3. Chesnau, Jehan :*Voyages en Egypte 1549 .. 1552.* Le Caire 1984.

4. Clement, R : *Les Français d'Egypte aux XVII et XVIII siécles. Le Caire 1960.*

6. De Hammer, J. *L'empire Ottoman traduit de l'Allemand par J.J. Hellert Paris 1936·* Tome 4 — 6

7. *Deschamps : Histoire de la question coloniale en France Paris 1891.*

8. De Villamont : *Voyages en Egypte des années 1589 —1590 — 1591· Le Caire 1971.*

9 Dyer, Thomes and Arthur Hassall : *Modern Europe 1595 — 1585 London 1901 Vol. II.*

10. Fermanel, Gilles :*Voyages en Egypte 1631 Le Caire 1975.*

11. Grant, A.J. : *A History of Europe 1494 — 1610· London 1954.*

12. Monconys, De Balthassar : *Les Voyages en Egypte 1646 — 1647*. Les Caire 1971.

13. Palerne, Jean : *Le Voyage en Egypte 1581*. Le Caire 1970.

14. Thenaud, Jean : *Le Voyage d'outremer (Egypte-Mont Sinay-Palestine)*. Paris 1884.

15. Thevenot : *Voyage de M.R. De Thevenot au Levant. Amsterdam Troisieme édition 1872*. Tome II.

16. Thevet, André : *Voyages en Egypte 1549 — 1552*. Le Caire 1984.

ENCYCLOPEDIAS

The new Cambridge Modern History 1493 — 1520. Cambridge 1961 Vol. I

الفهـــرس

الصفحة

صـــــــدر فى هذه السلسلة

٩ ــ المرأة المصرية والتغيرات الاجتماعية ١٩١٩ ــ ١٩٤٥
د ٠ لطيفة محمد سالم

١٠ ــ الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادي بين مصر والسودان ــ « دراسة في العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية ١٨٢١ ــ ١٨٤٨ » ٠
د ٠ نسيم مقار

١١ ــ تحول الفكرة العربية في مصر « دراسة في تاريخ الفكر السياسي المصري المعاصر » ٠
د ٠ فؤاد المرسي خاطر ٠

١٢ ــ صحافة الحزب الوطني ١٩٠٧ ــ ١٩١٢ ــ « دراسة تاريخية » ٠
د ٠ يواقيم رزق مرقص ٠

١٣ ــ الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور ٠
د ٠ سامية حسن ابراهيم ٠

١٤ ــ العلاقات المصرية السودانية ١٩١٩ ــ ١٩٢٤ ٠
د ٠ أحمد دياب ٠

١٥ ــ حركة الترجمة في مصر في القرن العشرين
أحمد عصام الدين ٠

١٦ ــ مصر وحركات التحرر الوطني في شمال افريقيا ٠
د ٠ عبد الله عبد الرازق ابراهيم ٠

١٧ ــ رؤية في تحديث الفكر المصري ــ « دراسة في فكر أحمد فتحي زغلول » ٠
د ٠ أحمد زكريا الشلق ٠

١٨ ـ صناعة تاريخ مصر الحديث ـ « دراسة فى فكر عبد الرحمن الرافعى » ٠
د ٠ حمادة محمود اسماعيل ٠

١٦ ـ الصحافة والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ـ من ملفات الخارجية البريطانية ٠
د ٠ لطيفة محمد سالم ٠

٢٠ ـ الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ٠
د ٠ عادل حسين غنيم ٠

٢١ ـ الجمعية الوطنية المصرية سنة ١٨٨٣ ـ « جمعية الانتقام » ٠
د ٠ زين العابدين شمس الدين نجم ٠

٢٢ ـ قضية الفلاح فى البرلمان المصرى ١٩٢٤ ـ ١٩٣٦ ٠
د ٠ زكريا سليمان بيومى ٠

٢٣ ـ فصول فى تاريخ تحديث المدن فى مصر ١٨٢٠ ـ ١٩١٤
د ٠ حلمى أحمد شلبى ٠

٢٤ ـ الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا ٠
د ٠ شوقى الجمل ٠

٢٥ ـ تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ ٠
د ٠ فاطمة علم الدين ٠

٢٦ ـ جمعية مصر الفتاة ١٨٧٩ دراسة وثيقية ٠
د ٠ على شلش ٠

٢٧ ـ السودان فى البرلمان المصرى ـ ١٩٢٤ ـ ١٩٣٦ ٠
د ٠ يواقيم رزق مرقص ٠

٢٨ ـ عصر حككيان ٠

أ ٠ د / أحمد عبد الرحيم مصطفى ٠

٢٩ ـ صغار ملاك الأراضى الزراعية فى مديرية المنوفية ٠ ١٨٩١ ـ ١٩١٣ ٠

د ٠ حلمى أحمد شلبى

٣٠ المجالس النيابية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى

د ٠ سعيده محمد حسنى

٣١ ـ دور الطلبة فى ثورة ١٩١٩ ، ١٩١٩ ـ ١٩٢٢

د ٠ عاصم محروس عبد المطلب

٣٢ ـ الطليعة الوفدية والحركة الوطنية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢

د ٠ اسماعيل محمد زين الدين

٣٣ ـ دور الاقاليم فى تاريخ مصر السياسى

د ٠ حمادة محمود اسماعيل

٣٤ ـ المعتدلون فى السياسة المصرية

د ٠ أحمد الشربينى السيد

٣٥ ـ اليهود فى مصر

د٠ نبيل عبد الحميد سيد أحمد

وبين يديك :

مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنين الســـادس عشر والسابع عشر

د ٠ الهام محمد على ذهنى

رقم الايداع ١٩٩١/٢٩٨٢

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 2729 — 9

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



الغلاف للفنان: محمود الهندى

٤٠٠ قرش